

دَلَالَةُ الْحَقِّ  
سُؤَالُ وَرُودٍ فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الجزء الثامن عشر

تأليف  
مهدي الموسوي الحلي

مركز الدلائل العقائدية

# الدليل العقائدي

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

## هوية الكتاب

عنوان الكتاب: دلائل الحق - أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية

تأليف: السيد مهدي الموسوي الجابري

مراجعة وتصحيح: الشيخ تحسين غيازي البلداوي

إخراج وتصميم: صفاء أحمد الشمري

الطبعة: الثانية

سنة الطبع: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٦ هـ

الناشر: مركز الدليل العقائدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأولين والآخرين وأشرف الخلق أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقاً من قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه - التصدي للشبهات التي تطال - العقيدة الإسلامية عموماً، والتعريف بعقائد الشيعة الإمامية خصوصاً، مع - التصدي للرد على - كل الشبهات التي تطال المذهب الشيعي خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أسس بنيانه، ووضع لبناته الأولى النبي الأقدس ﷺ حين قال في حديث صحيح: (إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بيانات وأحاديث متضافرة تحث على التمسك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعتر) معاً، كهذا الحديث الصحيح: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصف أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلاً،

لتضافر نقلها عند جميع الفرق الإسلامية - على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدة عن التعصّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلم هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمة له، وقد نُسب إلى سيد الموحّدين أمير المؤمنين مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله:

فَفُزْ بِعِلْمٍ وَلَا تَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا      فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

وعلى وفق هذه المعطيات جاءت المجموعة السابعة عشر من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتب تحت عنوان (دلائل الحق)، آمليْن أن تجدوا فيه ما ينفعكم في أمور دينكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أن تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائق نَفَضْنَا عنها غبارَ الشُّبُهَات بعد أن أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أن تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلّ ما التبس على بعض الناس من مسائل العقيدة، وإنارة السبيل لهم، وأن يجدوا فيها ضالّتهم، وإجابة مسألتهم.

ونسأل الله أن يجمعَ شملَ المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وأُفْتِهِمْ، ويجنّبهم شرَّ التطرّف والمتطرّفين، وشرَّ الكفّار والملحدين، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفّار والمنافقين هي السفلى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

**حديث (لا يؤدّي عني إلا علي) لا علاقة له بوجوب نشر العلم وتبليغه**

المستشكل: عبد العزيز الهيتي  
الإستشكال: حديث: (لا يؤدّي عني إلا علي) مع عدم ثبوت سنّده،  
فهو معارِضٌ لأصلٍ عظيمٍ من أصول الدين، وهو وجوب نشر العلم،  
والتبليغ عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حق كلّ مَنْ سمع  
منه شيئاً مِنَ العلم، أو بلغه عنه.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد  
وآله المطهّرين مصاييح الظلام، وهُدَاة الأنام.

**نُجِيبُ عَنْ ذَلِكَ بِخَطَوَتَيْنِ:**

**الأولى:** مَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى مَصَادِرِ مَذْهَبِهِ، فليعلم أن حديث  
«لا يؤدّي عني إلا علي»، قد صحّحه الألباني في صحيح سنن  
الترمذي<sup>(١)</sup>.

(١) سنن الترمذي، ج ٣، ص ٥٥، رقم: ٢٤٦٩.

وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «عن حبيش بن جنادة، وكان شهد يوم حجة الوداع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليّ مني، وأنا منه، لا يؤدّي عني إلا أنا أو علي" وهذا إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد: «إسناده صحيح»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ حسين أسد في تعليقه على مسند أبي يعلى: «رجالهم ثقات»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن حجر العسقلاني في الفتح "كتاب التفسير، باب وأذان من الله ورسوله": «وأخرج أحمد بسند حسن عن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث ببراءة مع أبي بكر، فلما بلغ ذا الحليفة قال: لا يُبَلِّغُهَا إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَبَعَثَ بِهَا مَعَ عَلِيٍّ»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو عمر الصوياني في "الصحيح من أحاديث السيرة": «سنده صحيح، رواه: من طريق حماد: أحمد (٣ - ٢١٢)، هذا السند: صحيح، حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقة

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٢١٢، ت: شعيب الأرناؤوط؛ ط. الرسالة.

(٢) مسند أحمد، ج ١، ص ١٦٨، ت. أحمد شاكر، ط. دار الحديث.

(٣) مسند أبي يعلى، ج ١، ص ١٠٠، ت. حسين أسد، ط. دار المأمون للتراث.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ج ٨، ص ٣٢٠، ط. دار المعرفة.

عابد من رجال مسلم، وأثبت الناس في ثابت تقريب التهذيب (١٧٨) وشيخه سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي أبو المغيرة الكوفي صدوق<sup>(١)</sup>.

وقال مقبل الوادعي في "الصحيح المسند": «هو حديث حسن على شرط مسلم»<sup>(٢)</sup>.

إذاً، فالحديث صحيح، رجاله كلهم ثقات.

**الثانية:** أن رسول الله ﷺ فسّر لفظ (منّي) في هذا الحديث وغيره من الأحاديث، بكل وضوح وجلاء، فسّرَحَ ﷺ أن القصد منه هو: أن علياً عليه السلام منه ﷺ في مقام التبليغ عن الله إلى المكلفين بلا واسطة، وقد أشار الصنعاني في التنوير بعد إيراده الحديث إلى هذا المعنى، فقال: «فهو الذي يقوم مقام نفسي، وكونه منه - صلى الله عليه وسلم - قد تكرر في مواضع، قد أكثرنا منه في الروضة الندية، ولا يخفى ما فيه من الفضيلة»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن تبليغ علي عليه السلام لسورة براءة كان بأمر من رسول الله ﷺ بناءً على أمر من الله سبحانه، وتعالى.. وهذا لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بوجوب نشر العلم وتبليغه، كما لا يخفى على عاقل.

(١) الصحيح من أحاديث السيرة النبوية، لأبي عمر محمد بن حمد الصوباني، ص ٥٤٨.

(٢) الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، مقبل بن هادي الوادعي، ج ١، ص ٨٧.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ج ٧، ص ٣٣٦، م. دار السلام، الرياض.

وإدعاء تعارض الحديث مع وجوب نشر العلم وتبليغه، وكونه أصلاً من أصول الدين، لا يصدر إلا من شخص مغلوب على عقله بالجهل، فلا نشر العلم وتبليغه من أصول الدين، ولا يوجد دليل عليه من الكتاب والسنة، بل هو يندرج تحت الفروع، ويُعدّ من ممارسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



## ثبوت إنكار عليٍّ عليه السلام لصلاة التراويح

السائل: كرار الموسوي

السؤال: ما تحليلكم لقول الشيخ الطوسي: (فكان أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً لما أنكر أنكر الاجتماع، ولم ينكر نفس الصلاة، فلما رأى أن الأمر يفسد عليه، ويفتن الناس أجاز، وأمرهم بالصلاة على عادتهم، فكل هذا واضح بحمد الله). (تهذيب الأحكام الجزء ٣، ص ٧٠، الحقائق الناضرة، الجزء ١٠، ص ٥٢٢، وجواهر الكلام، الجزء ١٣، ص ١٤١)، مع رواية أن علياً عليه السلام خرج ليلاً في شهر رمضان في خلافة عثمان بن عفان، فرأى المصاييح في المساجد، والمسلمون يصلون التراويح، فقال: (نور الله قبر عمر كما نور مساجدنا!) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الجزء ١٢ ص ٢٨٧).

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصاييح الظلام، وهداة الأنام.

قد ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام نهى المسلمين عن أداء صلاة

التراويح في عهد خلافته، وأخبرهم أنها بدعة، فتصايحوا في وجهه: غيَّرت سنة عمر، فتركهم عليه السلام خشية الفتنة، وقد شهد الشوكاني في كتابه "نيل الأوطار" <sup>(١)</sup> بأن العترة - وعلي عليه السلام سيد العترة - يقولون ببدعية صلاة التراويح.

وجاء في "الكافي" بسندٍ معتبر من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في تأسّفه على بعض ما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «والله لقد أمرتُ الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعضُ أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيَّرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً، ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري. ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار» <sup>(٢)</sup>.

وهذه الخطبة صحَّحها المحقق البحراني في "الحدائق الناضرة" <sup>(٣)</sup>، والراقي في "مستند الشيعة" <sup>(٤)</sup>، وحسّنها السيد الخوئي رحمته الله كما في "تقارير الصلاة" <sup>(٥)</sup>.

وعن جواز إبقاء الإمام للناس على ما هو خلاف الحق خشية

(١) نيل الأوطار، ج ٣ ص ٥١٦.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٦٣.

(٣) الحدائق الناضرة، ج ١١، ص ٨٥.

(٤) مستند الشيعة، ج ٨، ص ١٤.

(٥) تقارير الصلاة، ص ٢٧.

الفتنة، فذلك طبقاً لقاعدة التزاحم بين الأهمّ والمهم، فالمهم هو تطبيق الحق، ولكن الأهم هو حفظ النظام العام وعدم تعريض أمن الدولة للخطر بسبب قضية جزئية، وهذا ما فعله النبي ﷺ في مواقف كثيرة، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة، قالت: «سألت النبي صلى الله عليه وسلم، عن الجدر [المراد به حجر الكعبة الشريفة] أمن البيت هو؟ قال: نعم. فقلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة. قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدار في البيت وأن ألصق بابه في الأرض»<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث يدل على أن حفظ النظام أحياناً أهم من تطبيق بعض الأحكام، فالنبي ﷺ يشهد بأن وضع الحجر في زمانه هو خلاف ما ينبغي أن يكون عليه، وأن أهل الجاهلية قد غيروا في مكانه طبقاً لرغباتهم، ومع ذلك هو يخشى أن يعيده على ما كان عليه، خوفاً من زعزعة النظام؛ لأن قريشاً حديثة عهد بالجاهلية.

وأما الأثر الذي أورده ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على النهج، فإسناده ضعيف منقطع، ف"سيار بن حاتم" هو العنزي، في حفظه شيء، وهو منقطع بين أبي إسحاق وعليّ.. قال ابن

(١) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٩٠، ١٥٨٤ كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها.

كثير: «وقد رواه بشر بن موسى، عن عبد الرحمن بن واقد، عن عمرو بن جميع، عن ليث، عن مجاهد، عن علي، مثله... وهذا منقطع»<sup>(١)</sup>، بل إسناده ضعيف جداً لوجود (عبد الرحمن بن واقد، وعمرو بن جميع) وهما ليسا بشيء، وليث ضعيف.

ونخلص من جميع ما تقدم إلى ما يأتي:

١ - ثبوت نهى أمير المؤمنين علي عليه السلام المسلمين عن صلاة التراويح في عهده، معتبراً إياها بدعة.

٢ - يجوز للإمام إبقاء الناس على ما هو خلاف الحق خشية الفتنة، كما فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) في إبقاء الحجر الأسود على مكانه دون إرجاعه إلى مكانه الأصلي خوفاً من زعزعة النظام.

٣ - الأثر الذي يروي دعاء الإمام علي عليه السلام لعمر بن الخطاب أن ينور الله قبره على سنّة صلاة التراويح، ضعيف الإسناد.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



## تشكيك مضطرب في حديث الكساء

المستشكل: أبو طالب الشافعي

الاستشكال: لو كانت الغاية من حديث الكساء هي بيان مصداقه في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وإخراج أزواجه منه لكانت هذه هي الصيغة المطلوبة (اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً)، ولم يكن هناك حاجة للدعاء لهم؛ إذ إن الآية قد بينت ذهاب الرجس عنهم وطهارتهم. وكذلك مما يعارض فهم الإمامية أن العصمة عندهم هي منذ المولد، فهؤلاء الأربعة كانوا حينها مطهَّرين أساساً، فلماذا الدعاء لهم؟ ولماذا إذن لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنا الرجس، وطهرنا تطهيراً؟ فلماذا لم يُدخل نفسه معهم في الدعاء إذن؟ فهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على اختلاف طهارتهم عن طهارته، وحالهم عن حاله! بينما لو كان الجميع معصومين منذ الولادة لكان حالهم واحداً، وبالنتيجة إما أن لا يدعو لأحدٍ؛ لعدم الحاجة أو يدعو للجميع، ومن ضمنهم نفسه إذا كان ذلك جائزاً.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهّرين مصاييح الظلام، وهُدَاة الأَنَام.

اعتراضك بـ (لو كانت الغاية من حديث الكساء هي بيان مصداقه في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وإخراج أزواجه منه...).. جوابه:

أن بيان الغاية من حديث الكساء وبيان أن مصدايقه هم عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين **عليّهم السلام**، وإخراج أزواجه، صرح به جملة من علمائكم، منهم:

الآلوسي صاحب التفسير، قال ما نصه: «وأخبار إدخاله صلى الله عليه وسلم عليًّا وفاطمة وابنيهما (رضي الله تعالى عنهم) تحت الكساء، وقوله عليه الصلاة والسلام: (اللهم هؤلاء أهل بيتي) ودعاؤه لهم، وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تُحصى، وهي مخصّصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان البيت، فالمراد بهم من شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه **عليّهم السلام**» (١).

وفخر الدين الرازي في تفسيره، قال: «وأنا أقول: آل محمد

صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليًا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل»<sup>(١)</sup>.

وافترضك صيغةً أخرى لحديث الكساء على هذا النحو (اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين أذهبت عنهم الرجز، وطهرتهم تطهيراً) هو افتراض مناقض للنص الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ، يقول ابن تيمية عن حديث الكساء: «وأما حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة، وعليه مرطٌ مرجلٌ من شعرٍ أسود، فجاء الحسن بن علي، فأدخله، ثم جاء الحسين، فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها، ثم جاء علي، فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾...»<sup>(٢)</sup>.

وأما اعتراضك بـ (لم يكن هناك حاجة للدعاء لهم؛ إذ إن الآية قد بينت ذهاب الرجز عنهم وطهارتهم. وكذلك مما يعارض فهم الإمامية أن العصمة عندهم هي منذ المولد، فهؤلاء الأربعة كانوا حينها مطهرين أساساً، فلماذا الدعاء لهم؟) .. فجوابه:

(١) تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ٥٩٥.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج ٥، ص ١٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أي إنما يريد الله بالإرادة التكوينية الحتمية أن يذهب عنكم الرجس، والإذهاب هنا دفعي لا رفعي؛ لأنه سبحانه قال (عنكم) الرجس أهل البيت، ولم يقل (منكم) الرجس، وفرق بين عنكم ومنكم، فـ (عنكم) تعني دفع الرجس، و(منكم) تعني رفع الرجس، فالأولى لا تقتضي وجود رجسًا فيهم، والثانية بعكسها، فإنها تقتضي وجوده.. وبالنتيجة فإن هذه الآية الكريمة فيها دلالة على أن أهل البيت **عليه السلام** قد نالوا أعلى مراتب التطهير وأكملها، وهذا المعنى صرح به ابن حجر في "الصواعق"، حيث قال: «حكمة ختم الآية بـ ﴿تَطْهِيرًا﴾ المبالغة في وصولهم لأعلاه، وفي رفع التجوُّز عنه ثم تنويه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاز المفيد إلى أنه ليس من جنس ما يتعارف، ويؤلف، ثم أكد ذلك كَلَّه بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي إلى آخر ما مرّ، وبإدخاله نفسه معهم في العدّ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى عليّ قدرهم»<sup>(١)</sup>.

والسؤال هنا: هل آية التطهير عندما نزلت شملت النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** وأهل بيته **عليه السلام**، أو أنها شملت أهل بيته فقط؟

والجواب أشهر من نارٍ على علم، فقد أجمع المسلمون سنةً

وشيعَةً على أَنَّ آيةَ التطهير تشمل النبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻬﻴْـلَ، فقد قال أحمد بن محمد الشامي: «وقد أجمعتُ أمهات كتب السُّنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير النبي ﷺ وعليُّ وفاطمة والحسن والحسين؛ لأنهم الذين فسر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المراد بأهل البيت في الآية، وكلُّ قولٍ يخالف قولَ رسول الله ﷺ من بعيدٍ أو قريب مضروبٌ به عرض الحائط، وتفسير الرسول ﷺ أولى من تفسير غيره؛ إذ لا أحد أعرفُ منه بمراد ربه»<sup>(١)</sup>.

وابن حجر في "الصواعق" - كما أشرنا - أكد هذا بقوله: «ثم أكد ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي إلى آخر ما مرّ، وبإدخاله نفسه معهم في العدِّ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في روايةٍ أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى عليٍّ قدرهم»<sup>(٢)</sup>.

والسؤال هنا: ألم يكن النبي ﷺ معصوماً قبل نزول الآية؟

لا إشكال، ولا شبهة في كونه ﷺ معصوماً قبل نزول الآية الشريفة، وهكذا الحال بالنسبة لعصمة أهل بيته ﺍﻟﻬﻴْـلَ، فاعتقاد الشيعة بعصمة أهل البيت ﺍﻟﻬﻴْـلَ، قبل نزول الآية الشريفة، ثابت صحيح.

(١) جناية الأكوع، ص ١٢٥.

(٢) الصواعق، ج ٢، ص ٤٢٧.

واعترضك ب (لماذا إذن لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراً؟ لماذا لم يدخل نفسه معهم في الدعاء إذن، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اختلاف طهارتهم عن طهارته، وحالهم عن حاله!)..  
جوابه:

لا ينكر مسلم أن النبي ﷺ، كان يقرأ سورة الفاتحة في جميع صلواته، ومن ضمنها قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فهل إن النبي ﷺ لم يكن مهتدياً عندما يقرأ في جميع صلواته: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ويطلب من الله الهداية لنفسه، أم هو لغو، وهو منزّه عنه؟!

إذاً، فالنبي ﷺ، لما جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، وألقى عليهم كساءً، ودعا لهم بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»، كان يسعى إلى تحديد وتوضيح من هم أهل بيته الذين يريد الله إذهاب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيراً.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّين.



## استغاثة النبي تكشف بُعداً جديداً لشجاعة عليٍّ

المستشكل: ناصر الصاحب والآل

الاستشكال: الاستدلال بأن الرسول يستغيث بعليٍّ بن أبي طالب في الحرب لأجل إنقاذه من الكفار فهو يُظهر بأنه لا شجاع إلا علي بن أبي طالب، والكل بحاجةٍ إليه حتى رسول الله، فعليٌّ كَرَّمَ الله وجهه هو نفسه يقول: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوُطَيْسُ احْتَمَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ» مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ٤٣. أين كان سيف ذي الفقار عندما كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجّه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فذاك أبي وأمي يا رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ وخصوصاً وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهّرين مصايح الظلام، وهُدَاة الأنام.

الواقعة المستدلُّ بها إنما هي لتعزيد مشروعية الاستغاثة، والمستشكل هنا حرّف السياق بما لا يمكن لعاقِلٍ قبوله، فحوّل الاستدلال من جواز الاستغاثة إلى افتراض أنَّ المستغاث به أشجع من المستغيث، مما يشير إلى عجز المستشكل عن تقديم أدلة علمية تنفي هذا الاستنتاج.

ولا يعني نداء الرسول ﷺ واستغاثته بعليٍّ ﷺ ضعفه أو نقص شجاعته، بل يعني العكس بالضبط؛ إذ يشير إلى هفوة تاريخية كبيرة وصمت على جبين الصحابة لما هربوا عنه، وتركوه وحيداً في ساحة المعركة، حيث أصيب، وكسرت ربايعيته، وفي هذه اللحظة نادى بمن يشدُّ أزره، ويحمي وجهه، ويضرب بين يديه بسيفه "ذي الفقار".

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج أنه «لما فرَّ معظم أصحابه عنه ﷺ يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني كنانة، ثم من بني عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عوف، وهم: خالد بن سفيان، وغراب بن سفيان، وأبو شعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان، فقال رسول الله ﷺ: يا عليُّ، اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها، وإنها لتقارب خمسين فارساً، وعلي بن أبي طالب ﷺ راجل، فما زال يضربها بالسيف حتّى تفرّق عنه، ثمّ تجتمع عليه هكذا مراراً، حتّى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة، وتمام العشرة منها ممّن لا يعرف

بأسمائهم. فقال جبريل عليه السلام: يا محمد، إن هذه لمواساة؛ لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنع، وهو مني، وأنا منه؟ فقال جبريل: وأنا منكما، قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء، لا يرى شخص الصارخ به، ينادي مراراً: "لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار"، فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه. فقال: هذا جبريل.

ثم قال ابن أبي الحديد: «وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين، وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق، ورأيت بعضها خالياً عنه، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكيمة عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت: فما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أو كل ما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة»<sup>(١)</sup>.

وبالمثل نداه صلى الله عليه وآله له عليه السلام في ليلة الهجرة للمبيت على فراشه، ولكن ذلك لم يكن ضعفاً من الرسول ص أو نقص شجاعة، بل كان استدعاءً ضرورياً للحفاظ على حياته وتأمين هجرته بسلام، ففداه بنفسه، ووقاه من غدر الكفار ومكرهم، وإلى ذلك أشار ابن العربي، فقال: «قام عليٌّ على فراش النبي صلى الله عليه وسلم فداء له»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي ج ٢، ص ٣٩٦.

وكذلك في يوم خيبر، حينما استدعاه عليه السلام لينصر رايته بعد خذلانها من الصحابة، فقد روى البخاري في صحيحه، عن سهل بن سعد، أنه قال: «قال النبي عليه السلام يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم، أيهم يعطى؟ فغدوا كلهم يرجوه. فقال: أين علي؟ ف قيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه، ودعاه، فبرأ كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه. فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال عليه السلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم»<sup>(١)</sup>.

وفي اليوم الذي أرسله فيه لمواجهة عمرو بن عبد ود العامري، وهو موقف آخر أظهر جبن الصحابة وخوفهم من المواجهة، فكان استدعاءً عليّ عليه السلام ضرورياً في مثل هذا الموقف التاريخي الكبير، قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «روى الجمهور: أنه لما برز إلى عمرو بن عبد ود العامري في غزاة الخندق، وقد عجز عنه المسلمون، قال النبي عليه السلام: "برز الإيمان كله إلى الشرك كله"»<sup>(٢)</sup>.

هذا، وأما قولك «فعليُّ كرم الله وجهه هو نفسه يقول: «كنّا إذا حمي الوطيس احتمينا برسول الله، فما يكون أحداً أقرب إلى

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٣ كتاب الجهاد والسير.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٤، ص ٣٤٤.

العدو منه»، متوخياً بذلك إثبات أن علياً عليه السلام يومها لم يكن مدافعاً عن رسول الله، بل كان محتثاً به مع بعض الصحابة، في حين أن التاريخ سجّل في صفحاته ثبات علي عليه السلام، وفرارهم من ساحة المعركة وهروبهم من مواجهة العدو.

فغايتك من إيراد هذا النصّ عن عليّ عليه السلام هي محاولة يائسة لتأكيد ما جاء في رواية البراء في قصة حنين، لإيهام القراء بأن البراء وغيره من الصحابة كانوا في ذلك اليوم يحتمون برسول الله، وأنهم لم يفروا من الزحف، ولم يهربوا من وجه العدو، وهكذا كان عليّ معهم، بناء على ما رواه الشيخان البخاريّ ومسلم في صحيحيهما، عن أبي إسحاق أنه قال: «قال رجل للبراء: يا أبا عمار! أفررت يوم حنين؟ قال: لا والله!...»<sup>(١)</sup>.

ولكن هيهات هيهات فقد اتسع الخرق على الراقع.. فقد ثبت فرار بعض الصحابة من الزحف وهروبهم من مواجهة العدو، ولم يثبت أحد منهم مع النبي صلى الله عليه وآله، وكان أبو بكر هو الذي أعجبه في ذلك اليوم كثرة الناس، فقال: لم تغلب اليوم من قلة. ثم كان أول المنهزمين، ومن ولى من القوم الدبر، فقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذْبِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فاختص من التوبيخ به لمقاله بما لم

(١) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٧١، ت. البغيا؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٠٠، ت. عبد الباقي.

(٢) التوبة: ٢٥.

يتوجه إلى غيره، وشارك الباقيين في الذم على نقض العهد والميثاق.

ومن جانب آخر، فكون النبي ﷺ أشجع الخلق، فهذا أمرٌ مقطوعٌ به، ولا يحتاج إلى توضيح أو إلى تقديم أدلة، وعليّ ﷺ أيضاً كان من بين أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ، فقد برزت شجاعته في العديد من المواقف، مثل معركة بدر ومعركة الخندق، ومعركة صفين، إلى غير ذلك من المعارك الأخرى التي سجلها التاريخ، فكانت كالنار على علم.

فقد كان عليّ ﷺ قائداً لمعسكره ﷺ ومسؤولاً عن قضايا الحرب بتكليفٍ مباشر منه، وليس بدعاً أن يلجأ القائد إلى من هو أعلى منه رتبةً وأشجع منه في مواجهة العدو، ففي بعض المواقف، قد تنفذ من القائد كلُّ الوسائل في تحقيق النصر على العدو، فيحتاج إلى من يعينه، ويسانده في محتته، فوجد الإمام ﷺ الذي ملأت الدنيا أحاديث بطولته وشجاعته، يشهد بأن النبي ﷺ، أعظم شجاعة وإقداماً منه، وهذا موافقٌ لعقيدتنا بأن النبي ﷺ يفوق الأمة بأسرها في جميع صفات الكمال.

وأما قولك «أين كان سيف ذي الفقار عندما كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجّه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فذاك أبي وأمي يا رسول الله عليه الصلاة والسلام؟».

أقول: يوحى سؤالك بوجود خللٍ ما في سياق الأحداث، يدفعك

للاعتقاد بغياب بعض الصحابة عن ساحة المعركة، وتركهم للنبي ﷺ وحيداً يواجه الأعداء، بينما كان عليٌّ ﷺ مشغولاً بصدِّ هجماتهم.. ويُفهم من سؤالك هذا إقرارٌ بفرار بعض الصحابة من المعركة!!

وأما قولك «أين كان... وخصوصاً وأنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة».

أقول: وهل يُعقل أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يعلم ما سيواجهه نبيّه ﷺ من أذى ومحاربة وعذاب؟!

وكيف يمكن أن يتساءل أحدٌ عن غياب الله سبحانه عن نبيه، وهو يعلم مسبقاً ما سيحدث، مع قدرته على منعه وحماية نبيّه من أيِّ اعتداء؟!

إنَّ طرح مثل هذا السؤال يُعدّ كفرًا.

والآن، هل تطرح أنت هذا السؤال على نفسك؟!

أما بخصوص سؤالك عن عليٍّ ﷺ، فإنَّك بهذا تريد أن تُعلي شأنه، وتُعظِّمه فوق الله، والعياذ بالله من ذلك.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

## حديث «المؤمن يخاصر ربه»

المستشكل: أبو أنور العاني  
الاستشكال: يتهم الروافض دومًا أهل السنة اتهامات باطلة بأن إله السنة هو شابُّ أمرد، وهو من الأحاديث الضعيفة التي يستشهد بها الروافض، ولا يعلم الرافضة أن كتبهم تحمل خرافات كثيرة، وتستهزئ بعقول الرافضة، منها هذه الرواية: عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله ع يقول: إن الله ليخاصر العبد المؤمن يوم القيمة، والمؤمن يخاصر ربه، يذكره ذنوبه، قلت: وما يخاصر؟ قال: فوضع يده على خاصرتي، فقال: هكذا، كما يناجى الرجل منا أخاه في الأمر يسره إليه.. فهم المجسمون المستهزون بعقول أتباعهم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصايح الظلام، وهُدَاة الأنام.

ما لم يصل إلى درايتك أو لعلك تجاهلته، هو أن الشيعة لا يعتقدون

بوجود كتابٍ يحمل الصحة الكاملة والمطلقة من الجلد إلى الجلد غير القرآن الكريم، فكلُّ ما عداه من كتبٍ قد تحتوي على الصحيح وغيره، مهما كانت مكانة هذه الكتب أو مؤلفيها، نظراً لما ورد من الأحاديث والروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تمييز الأحاديث، مثلما جاء في حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي قال فيه: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»<sup>(١)</sup>. وكما جاء في حديثٍ له عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا خطب الناس بمنى، فقال: «أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم عني يخالف كتاب الله فلم أقله»<sup>(٢)</sup>.

وأكد الشيخ المفيد رحمته الله هذه العقيدة بقوله: «وكتاب الله تعالى مقدّم على الأحاديث والروايات، وإليه يُتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحق دون سواه»<sup>(٣)</sup>.

وبناءً على هذا المعيار، وهو عرض الحديث على كتاب الله تعالى، تميّز الشيعة الإمامية عن أهل السنة والجماعة في كثيرٍ من الأحكام الفقهية، وكذلك في كثيرٍ من العقائد، وهم الفرقة الإسلامية الوحيدة التي اشترطت هذا الشرط، لا سيما في حال تعارض الروايات.

لذا، وجود روايةٍ في كتابٍ من كتب الشيعة لا يعني بالضرورة أنها صحيحة، فثمة روايات في كتبهم يعتقدون بعدم صحتها، بالمقارنة مع أهل السنة الذين يعتبرون بعض كتبهم

(١) الكافي، ج ١، ص ٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٤٤.

مثل "الصحيحين" البخاري ومسلم مرجعية أساسية بعد القرآن، ويعدّونهما أصحّ الكتب بعده إلى درجة أنهم يؤكّدون على صحة جميع ما جاء فيهما من أحاديث حتى لو تعارض مع القرآن، بل قد وصل الأمر بهم إلى أنهم أكدوا أنه لو حلف رجل بطلاق امرأته على أن كل ما في الصحيحين هو من أقوال وأفعال وتقرير النبي ﷺ لم يحنث، وأن من روى له البخاري فقد جاز القنطرة<sup>(١)</sup>.

وبناءً على هذا المعيار، تميز الشيعة عن أهل السنة في كثير من الأحكام الفقهية والعقائد.

فالحديث المذكور أورده العلامة المجلسي رحمه الله في "بحار الأنوار"، نقلاً عن كتاب زيد النرسي، فقال: «كتاب زيد النرسي: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ... الحديث»<sup>(٢)</sup>، والحديث ساقطٌ، ولا يؤخذ به؛ لأن كتاب زيد النرسي مشتمل على أمور منكرة، قال الشيخ التستري في "قاموس الرجال": «وأما زيد النرسي فأصله مشتمل على أمور منكرة: ... ومنها خبره عن عبد الله بن سنان: سمعت أبا عبد الله عليه السلام - يقول: إن الله ليخاصر العبد المؤمن يوم القيامة، والمؤمن يخاصر ربه، يذكره ذنوبه، قلت: وما يخاصر؟ قال: فوضع يده على خاصرتي، فقال: هكذا، كما يناجي الرجل منا أخاه في الأمر يسره إليه»<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ص ٣٨١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٢٧٦.

(٣) قاموس الرجال، للشيخ محمد تقي التستري، ج ٤، ص ٥٤٩.

وبغض النظر عن صحة الحديث أو ضعفه، واختلاف العلماء في "زيد النرسي" - إذ منهم من يعتدّ به وبكتابه، وآخرون يضعّفونه، ولا يعتدون بكتابه - فإن العلامة المجلسي رحمته الله قال معقباً على الحديث: «الكلام مسوق على الاستعارة، أي: يسرّ إليه، ولا يُطلع على ذنوبه غيره، كأنه يخاصره، والأخبار من هذا الباب كثيرة في سائر الأبواب»<sup>(١)</sup>.

أما قولك «يتهم الروافض دوماً أهل السنة اتهامات باطلة بأن إله السنّة هو "شاب أمرد" وهي من الأحاديث الضعيفة التي يستشهد بها الروافض...»!!

الروافض لا يتهمونكم بهذه العقيدة جزافاً، بل ينقلون لكم من كتبكم ما أطبق على صحته علماؤكم في صفات الله سبحانه، فـ (شاب أمرد)، هو في الواقع حديثٌ رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، ونصّه: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدٍ، لَهُ وَفْرَةٌ جَعْدٌ قَطَطٌ، فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ»، ومن ألفاظه:

«أن محمداً رأى ربه في صورة شاب أمرد من دونه ستر من لؤلؤ، قدميه، أو قال: رجليه في خضرة». «رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء». «رأيت ربي في صورة شاب أمرد جعد عليه حلة خضراء».

ويجدر بالذكر أن هذا الحديث قد صحّحه جمعٌ من علماء

أهل السنة، مما يعني أنه ليس من الأحاديث الضعيفة كما زعمت،  
وممن صحّحه من العلماء:

الإمام أحمد في المنتخب من العِلل للخلال<sup>(١)</sup>، وإبطال  
التأويلات، لأبي يعلى<sup>(٢)</sup>، وأبو زرعة الرازي في إبطال التأويلات،  
لأبي يعلى<sup>(٣)</sup>، والطبراني في إبطال التأويلات، لأبي يعلى<sup>(٤)</sup>،  
وأبو الحسن بن بشار في إبطال التأويلات<sup>(٥)</sup>، وأبو يعلى في  
إبطال التأويلات<sup>(٦)</sup>، وابن صدقة في إبطال التأويلات<sup>(٧)</sup>، وتلبس  
الجهمية<sup>(٨)</sup>، وابن تيمية في بيان تلبس الجهمية<sup>(٩)</sup>.

ترى هل بدأتّم تشعرون بالخرج من عقائدكم، وتترددون في  
الكشف عنها؟!

فما عدا مما بدا؟!

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا  
محَمَّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

(١) المنتخب من العِلل للخلال، ص ٢٨٢.

(٢) إبطال التأويلات، لأبي يعلى، ج ١، ص ١٣٩.

(٣) إبطال التأويلات، لأبي يعلى، ج ١، ص ١٤٤.

(٤) إبطال التأويلات، لأبي يعلى، ج ١، ص ١٤٣.

(٥) إبطال التأويلات، ج ١، ص ١٤٢-١٤٣، وص ٢٢٢.

(٦) إبطال التأويلات، ج ١، ص ١٤١-١٤٣.

(٧) إبطال التأويلات، ج ١، ص ١٤٤.

(٨) تلبس الجهمية، ج ٧، ص ٢٢٥.

(٩) بيان تلبس الجهمية، ج ٧، ص ٢٩٠-٣٥٦.

## هدم قبور أئمة أهل البيت نهج ناصبي

السائل: طالب

السؤال: يقول بعض أهل السنة: إن قضية تهديم مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام سنة (٢٠٠٦) كانت قضيةً افتعلتها الزُّمَرُ الإرهابية من قِبَل الاحتلال، ولم يكن لأهل السنة تحديداً (النواصب) يدُ بذلك.. فما ردُّكم على هذا القول؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصاييح الظلام، وهُدَاة الأنام.

من المفيد بمكانٍ أن نُقدِّم في مستهلِّ نقاشنا إيضاحاً لوجهة نظرنا بخصوص المسلمين من أهل السنة، فنقول:

لا يصحُّ تعميمُ ارتكاب هذه الجريمة النكراء وغيرها من الجرائم على جميع أهل السنة والحكم عليهم بأنهم "نواصب"، ومَن فعل ذلك فقد دلَّ على جهله بنفسه، كما لا ينبغي الاعتماد على أقوال عامَّة الناس في هذا الشأن والاستناد إلى استنتاجاتهم

السطحية الساذجة، فتعميم الأحكام هو في الواقع آفة من آفات العقل، و"إطلاق الأحكام جزافاً" سهمٌ قاتل لعلاقات الأخي بين المسلمين.

نعم، ارتبطت بعض الجماعات الإرهابية المتطرفة بأفكارٍ سلفيةٍ مستوحاةٍ من تراث ابن تيمية وابن عبد الوهاب، اتّسمت بمعاداة أئمة أهل البيت (عليه السلام)، وتبنّي مبادئ "النصب"، حيث تعود جذور هذه الأفكار المتطرفة وأساس النصب إلى معاوية بن أبي سفيان، كما أكّد الذهبي في "سير أعلام النبلاء"، حيث قال: «وخلف معاوية خلقٌ كثيرٌ يحبّونه، ويتغالون فيه، ويفضلونه، إمّا قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد ولدوا في الشام على حبّه، وتربّى أولادُهم على ذلك. وفيهم جماعةٌ يسيرةٌ من الصحابة، وعددٌ كثيرٌ من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشؤوا على النصب - نعوذ بالله من الهوى -»<sup>(١)</sup>.

فقوله: (نشؤوا على النصب) يعني أنّ معاوية مُنشئ النصب ومؤسّسه، حيث مارس عملاً بارزاً في ترسيخ أفكار "النصب" بسياساته إبان حكمه، وقد ساهمت عبر ممر العصور في ظهور جماعاتٍ إرهابيةٍ وتنظيماتٍ متطرفةٍ ترتبط بأفكارٍ سلفيةٍ متشدّدةٍ تستند إلى تفسيرات محدّدة لفكر كلّ من ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومن هذا حذا حذوهم، مثل تنظيم "قاعدة الجهاد في

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٢٨، ط. الرسالة.

بلاد الرافدين"، الذي كان يُعرف سابقاً باسم "جماعة التوحيد والجهاد"، وهو من نفذ تفجير مرقد العسكرين عليهما السلام في سامراء عام ٢٠٠٦م.

ولطالما اتّبع النواصبُ سياسةَ هدم القبور، بدءاً من عهد ابن تيمية، ولا تزال هذه الممارسة مستمرة حتى يومنا هذا، فمن غير المنطقيّ إذا اتّهام "لاحتلال" بفعل هو أساساً سلوكٌ متأصلٌ لدى "النواصب". فسياسة "الاحتلال" - أيّ احتلالٍ كان - تقوم على تجنّب استفزاز الشعوب المحتلة، بل تسعى جاهدةً لإلهائهم بمُتَع الحياة وتذليل الصّعاب أمام ممارساتهم الدينية، بهدف إبعادهم عن النشاط السياسي والاحتجاجات التي قد تهدّد مخطّطاته.

ويُمثّل هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام في الثامن من شهر شوال عام ١٣٤٤هـ سابقةً تاريخيةً شهيرةً لنهج "النواصب" هذا.

يقول (كورتين وينزر) السفير الأمريكي لدى كوستاريكا في دراسة أكاديمية، نُشرت في مجلة «MidEast Monitor»: «وبعد سيطرة آل سعود على مكة والمدينة في العشرينات من القرن الماضي، قاموا بتدمير الأضرحة مثل مقبرة جنات البقيع التي دُمّرت في عام ١٩٢٥م، وكانت تحوي رفات أربعة من أئمة الشيعة الاثني عشرية»<sup>(١)</sup>.

(١) مجلة «MidEast Monitor» عدد يونيو - يوليو ٢٠٠٧م.

فهذه قباب أئمة المسلمين وتسوية قبورهم، وإنكار فضلها وفضل أهلها، وإهانة من أوجب الله تعظيمه واحترامه حيًّا وميتًا، بإهانة قبره، سواء كان نبيًّا أو وليًّا أو صديقًا أو شهيدًا، بدعوى أن تعظيمها عبادة لها، وأنها باتت كالأصنام تُعبد من دون الله تعالى، وأن الله تعالى نهى عن البناء على القبور، كل هذه الادعاءات زائفة لا أساس لها من الصحة، لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة، بل على العكس تمامًا، فالأدلة الشرعية تثبت جواز تعظيم قبور الأنبياء والأئمة والصالحين، وتُحرِّم التطاول عليها أو هدمها.

وبالنتيجة، فإن هدم قبور أولياء الله وأصفياه لا ينطلق من أي دليل شرعي، بل من دوافع الحقد والعداء الأعمى.

ودونك صفحة من تأريخ النواصب، حيث قاموا بإرسال قاضي قضاتهم "الشيخ عبد الله بن بليهد" إلى المدينة المنورة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ هـ، وبعد دخوله المدينة وجه إلى علماء المدينة هذا السؤال:

«ما قول علماء المدينة - زادهم الله فهمًا وعلمًا - في البناء على القبور واتخاذها مساجد؟ هل هو جائز أم لا؟ وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهى عنه نهياً شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟ وإذا كان البناء في مُسَبَّلة كالبقيع، وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليها، فهل هو غصبٌ يجب رفعه؟

لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم أم لا؟ وما يفعله الجهّال عند هذه الضرائح من التمسّح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح والنذر لها وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا؟ وما يُفعل عند حجرة النبي ﷺ من التوجّه إليها عند الدعاء وغيره والطواف بها وتقيلها والتمسّح بها، وكذلك ما يُفعل في المسجد من التحريم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة، هل هو مشروع أم لا؟ أفتونا مأجورين، وبينوا لنا الأدلة المستند إليها، لا زلتم ملجأً للمستفيدين».

نصّ الجواب المنسوب لعلماء المدينة: «أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحة الأحاديث الواردة في منعه؛ ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستنديين على ذلك بحديث عليّ أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته. رواه مسلم.

وأما اتّخاذ القبور مساجد والصلاة فيها وإيقاد السرج عليها فممنوعٌ لحديث ابن عباس: لعن الله زائرات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن.

وأما ما يفعله الجهّال عند الضرائح من التمسّح بها والتقرب إليها بالذبائح والنذور ودعاء أهلها مع الله فهو حرامٌ ممنوعٌ شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجُّه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدُّعاء فالأولى منعه كما هو معروفٌ من معتبرات كتب المذهب؛ ولأن أفضل الجهات جهة القبلة.

وأما الطواف والتمسُّح بها وتقبيلها فهو ممنوعٌ مطلقاً.

وأما ما يُفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة فهو محدثٌ.

هذا ما وصل إليه علمنا<sup>(١)</sup>.

هل ما زال ثمة شكٌّ في أنَّ النواصب من أهل السنة هم من فجَّر المرقدين؟ ثم إنَّ دعوى تفجير مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام كان على يد زُمَرٍ إرهابية من قبل الاحتلال، هي أشبه بقصة إخوة يوسف الذين اتهموا الذئب بأكله كذبا لدفع التهمة عن أنفسهم؟!

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّين.



## حدُّ الاعتقاد بالأئمة والغاية من معرفتهم

السائل: أيّامًا معدودات

السؤال: ما حدُّ الاعتقاد بأهل البيت؟ وما الغاية من معرفتهم؟ راجيًا من جنابك سيدنا الكريم توضيح الآية الكريمة الواردة في كتاب الله - عزَّ اسمه -: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ صدق الله العليُّ العظيم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

تُعَدُّ معرفة الأئمة المعصومين عليهم السلام بمثابة الحكمة التي مَنْ أوتيها فقد أُوتي خيراً كثيراً، كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أوضح الإمام الصادق عليه السلام المقصود بالحكمة في هذه

الآية بقوله: «معرفة الإمام»<sup>(١)</sup>.

ومعرفة أئمة أهل البيت عليهم السلام نجاةً من الضلال، كما ثبت ذلك في حديث الثقلين المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>(٢)</sup>.

ورد هذا الحديث الشريف بألفاظ وطرق متعدّدة، وقد حظي بالتصحيح من قبل كبار علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة، ومن أشهرهم:

١ - الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه "المطالب العالية"<sup>(٣)</sup>.

٢ - الإمام الهيثمي المكي في كتابه "الصواعق المحرقة"<sup>(٤)</sup>.

٣ - الإمام ابن كثير الدمشقي في تفسيره المشهور "تفسير ابن كثير"<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة، للحر العاملي، ج ١٥، ص ٣١٥.

(٢) مختصر صحيح الجامع الصغير، للسيوطي والألباني، برقم: ١٧٢٦ - ٢٤٥٨.

(٣) ج ٤، ص ٦٥، الحديث رقم ٣٩٧٢.

(٤) ج ٢، ص ٤٣٩.

(٥) ج ١٢، ص ٢٧١.

٤ - الإمام الطحاوي في كتابه "شرح مشكل الآثار" <sup>(١)</sup>.

٥ - الإمام الحاكم النيسابوري في كتابه "المستدرک على الصحيحين" <sup>(٢)</sup>.

٦ - الإمام البوصيري في كتابه "إتحاف الخيرة المهرة" <sup>(٣)</sup>.

٧ - الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق "مسند أحمد" <sup>(٤)</sup>.

وهذا يدل على مكانة هذا الحديث العظيمة وثقة العلماء بصحته وسلامة سنده.

وفي الحديث عدّة دلالات نوردها بشرح علماء أهل السنة أنفسهم:

**الدلالة الأولى:** قرن النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف أهل بيته <sup>(عليه السلام)</sup> بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك تصريحه ﷺ بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أنّ صدور أية مخالفة للشريعة، سواء كانت عن عمد أم سهو أم غفلة تعدّ افتراقاً عن القرآن في هذه الحال وإن لم يتحقق انطباق عنوان المعصية عليها أحياناً، كما في الغافل والساهي، والحديث نصّ

(١) ج ٥، ص ٨.

(٢) ج ٣، ص ١٤٨.

(٣) ج ٩، ص ٢٧٩.

(٤) حديث رقم ١١١٠٤.

في عدم افتراق الكتاب والعتره حتّى يردا الحوض، وهذا دليل العصمة الذي لا يماري فيه إلا مكابرٌ معاند.

واستفاد المعنى المذكور -أيضاً- جماعة من كبار علماء أهل السنة، وإن اختلفت صياغاتهم، لكنّ مضمونها واحد كما سنرى، فقد قال ابن حجر الهيثمي في "المنح المكية": «وفي الحديث: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي»، فليتأمل كونه قرنهم بالقرآن في أنّ التمسك بهما يمنع الضلال، ويوجب الكمال»<sup>(١)</sup>.

فالذي يمنع الضلال، ويوجب الكمال عند التمسك به لا بدّ أن يكون معصوماً، شأنه في ذلك شأن القرآن المعصوم الذي اقترن معه، والذي هو بالإجماع يمنع الضلال، ويوجب الكمال، فتدبر.

**الدلالة الثانية:** عُدّ التمسك بهما معاً عاصماً من الضلالة، وهو دليل الوجوب على التمسك، والذي يعني اتّباعهما وعدم التخلف عنهما مطلقاً، وهذه الاستفادة من الحديث صرّح بها جملةٌ من علماء أهل السنة، منهم:

١ - الدهلوي في "التحفة الاثنا عشرية"، قال: «هذا الحديث - أي: حديث الثقلين - ثابت عند الفريقين: أهل السنة والشيعة، وقد علم منه أنّ رسول الله ﷺ أمرنا في المقدّمات الدينية والأحكام

(١) المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية، ص ١٨٢، بواسطة نفحات الأزهار، ج ١، ص ٤٦٣.

الشرعية بالتمسك بهذين العظيمين في القدر، والرجوع إليهما في كل أمر، فمن كان مذهبه مخالفاً لهما في الأمور الشرعية اعتقاداً وعملاً فهو ضالٌّ، ومذهبه باطل لا يُعبأ به، ومن جحد بهما غوى، ووقع في مهاوي الردى»<sup>(١)</sup>.

٢ - الحكيم الترمذي، نقل قوله المناوي في «فيض القدير»، بأنه قال: «حُصَّ على التمسك بهم؛ لأنَّ الأمر لهم معانية، فهم أبعد عن المحنة»<sup>(٢)</sup>.

٣ - محيي الدين يحيى بن شرف النووي، في شرحه على صحيح مسلم، قال: «قوله رحمته الله : «وأنا تارك فيكم ثقلين»، فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: «سُمِّيَا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما»، وقيل: لثقل العمل بهما»<sup>(٣)</sup>.

٤ - ابن الأثير، في كتابه «النهاية في غريب الحديث» قال: «إِنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»، سَمَّاهما ثقلين؛ لأنَّ الأخذ بهما والعمل بهما ثَقِيلٌ. ويقال لكل شيءٍ خطير نفيس: ثَقُلَ، فسماهما ثقلين لقدرهما وتَفْخِيمًا لَشَأْنَهُمَا»<sup>(٤)</sup>.

٥ - السندي في شرحه للحديث، قال: «وفيه من تأكُّد أخبار

(١) يُنظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ٥٢

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٥، ص ١٨٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٢١٦.

كونهم على الحق كالقرآن وصونهم أبداً عن الخطأ كالوحي المنزّل ما لا يخفى على الخبير...»<sup>(١)</sup>.

٦ - الملا علي القاري، في «مرقاة المفاتيح»، قال: «والمراد بالأخذ بهم: التمسك بمحبتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل برواياتهم، والاعتماد على مقالاتهم»<sup>(٢)</sup>.

٧ - شهاب الدين الخفاجي، في «نسيم الرياض»، قال: «أي: تمسّكتم، وعملتكم، واتبعتموه»<sup>(٣)</sup>.

٨ - المباركفوري، في «تحفة الأحوذى» عند شرحه للحديث الوارد في «سنن الترمذي»، قال: «فانظروا كيف تخلفوني»، بتشديد النون وتُخَفَّف، أي: كيف تكونون بعدي خلفاء، أي: عاملين متمسّكين بهما»<sup>(٤)</sup>.

٩ - المناوي الشافعي في «فيض القدير»، قال: «وفي هذا مع قوله أولاً «إني تارك فيكم» تلويح، بل تصريح بأنّهما كتوأمين خلفهما، ووَصَّى أُمَّته بحسن معاملتهما وإيثار حقّهما على أنفسهما والاستمسك بهما في الدين...»<sup>(٥)</sup>.

(١) دراسات اللبيب، ص ٢٣٣.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ١١، ص ٣٠٧.

(٣) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، ج ٣، ص ٤١٠.

(٤) تحفة الأحوذى في شرح الترمذي، ج ١٠، ص ١٩٧.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٣، ص ٢٠.

١٠ - التفتازاني، في «شرح المقاصد»، بعد أن ذكر الحديث، قال: «ألا يرى أنه عليه السلام، قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذاً عن الضلالة، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ به بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العترة»<sup>(١)</sup>.

١١ - ابن حجر الهيتمي، في «الصواعق المحرقة»، قال: «تنبيه: سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، القرآن وعترته - وهي بالمشاة الفوقية: الأهل والنسل والرهط الأذنون - ثقلين؛ لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك؛ إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية؛ ولذا حث صلى الله عليه وآله وسلم على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم...»<sup>(٢)</sup>.

الدلالة الثالثة: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» دليل على وجودهما وبقائهما إلى يوم القيامة، وأن أهل البيت عليهم السلام لن يفارقوا القرآن، ولن يفارقهم مدة عمر الدنيا، وهذا يعني وجود إمام منهم وجب التمسك به في كل زمان، وهو المعنى الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المعروف: «مَنْ مات، ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»<sup>(٣)</sup>.

وإلى هذا المعنى أيضاً يشير شراح الحديث المذكور، فقد قال «الزرقاني المالكي في "شرح المواهب": «قال السمهودي:

(١) شرح المقاصد، ج ٣، ص ٥٢٩.

(٢) الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٤٢.

(٣) شرح المقاصد، ج ٣، ص ٤٧٦، ورواه مسلم في صحيحه، ج ٦، ص ٢٢.

هذا الخبر-أي: حديث الثقلين- يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من عترته في كل زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به كما أن الكتاب كذلك؛ فلذا كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض»<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى الذي أشار إليه الزرقاني عن السمهودي هنا هو نفسه الذي نصّ عليه أيضاً ابن حجر في «الصواعق المحرقة»، حين قال: «وفي أحاديث التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع مستأهل فيهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك؛ ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما سيأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: "في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي"»<sup>(٢)</sup>.

وتحصّل من جميع ما تقدّم أن هذا الحديث -نعني حديث الثقلين- صرّح بالتلازم الوجودي لأهل البيت عليه السلام مع القرآن الكريم إلى يوم القيامة، ومن ثمّ ملاحظة تصريحه صلوات الله عليه وآله في أحاديث أخر -روتها الصحاح والسنن والمسانيد- بوجود اثني عشر خليفة في الأمّة يتولّون أعمال قيادة الأمّة من بعده إلى يوم القيامة، ويتبيّن لنا بوضوح -عند الجمع بين هذه الأحاديث- أن أمّة أهل البيت هم الخلفاء الاثنا عشر الذين عناهم رسول الله صلوات الله عليه وآله بحديثه، وبالنتيجة فإن معرفتهم في الدنيا سبيل للنجاة في

(١) شرح المواهب، ج ٧، ص ٨؛ فيض القدير، ج ٣، ص ١٩.

(٢) الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٤٢.

الآخرة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا  
محَمَّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



## كيف يكون مؤمناً وهو يدعو إلى النار؟!

الإشكال: معتر البطانية

الاستشكال: سيدنا معاوية رضي الله عنه مؤمنٌ إحدى الطائفتين المذكورتين في كتاب الله تعالى، بقوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾، وقد اتفق السلف والخلف على عدالته وإيمانه، إلا الرافضة قبّحهم الله، فقد كفّروه!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾<sup>(١)</sup>، لإضفاء صفة الإيمان على جميع الصحابة الذين تقاتلوا في الجمل وصفين، يدعونا إلى طرح السؤال الآتي على المستشكل ومن على شاكلته، وهو: هل المؤمنُ يدعو إلى النار؟!

من الواضح جداً أن المؤمن لا يدعو إلى النار، وإلا لانسلخت عنه صفة الإيمان!!

فإذا علمنا هذا، نقول: فقد ثبت أن النبي ﷺ قال في حق «معاوية» ومن معه من الصحابة في جيشه الذين قاتلوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام في صفين، أنهم بُغاة، وأنهم يدعون إلى النار، كما جاء في حديث البخاري: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث الشريف صريحٌ بانسلاخ صفة الإيمان عن البُغاة والدُّعاة إلى النار، فلا يمكن أن تجتمع صفة الإيمان مع الدعوة إلى النار، فالدعوة إلى النار هي دعوة الشيطان كما ينصُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعليه، فالفتن المتنازعتان من المؤمنين قبل اقتتالهما يصح إطلاق صفة الإيمان عليهما، وأما بعد البغي وأمر الله بقتال الفئة الباغية ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾<sup>(٣)</sup> فتسلخ صفة الإيمان قهراً عن الفئة الباغية، كما هو صريح حديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري، وتبقى صفة الإيمان ثابتة في حق الفئة الأخرى غير

(١) صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٢) لقان: ٢١.

(٣) الحجرات: ٩.

الباغية، والتي عبّر عنها الحديث بالفئة الداعية إلى الله، كما في حديث عمار.

وإذا انسلخت صفة الإيمان عن إحداهما (وهي الفئة الباغية)، وبقيت صفة الإيمان ثابتة للأخرى، يكون قتل الباغي للمؤمن داخلًا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، فالآية الشريفة عامة من هذه الناحية؛ إذ لم تُقيّد قتل المؤمن العمديّ الموجب لدخول النار بحالةٍ دون أخرى، وبعمومها وإطلاقها يدخل قتل الباغي للمؤمن، وبذلك يثبت دخول كل الصحابة البغاة الذين قتلوا الصحابة المؤمنين من الطرف الآخر في النار، ولا يقدر على إبطال هذا الاستدلال العلمي المتين من أهل السنة أحدٌ إلا بالتلاعب في كلام الله ورسوله.

وأما قولك «وقد اتَّفَق السلف والخلف على عدالته وإيمانه، إلا الرافضة قبَّحهم الله، فقد كفَّروه»!!

أقول: قد طعن في معاوية بن أبي سفيان كثيرٌ من أئمة وعلماء أهل السنة، وحكموا بفسقه وكفره، واشتهر ذلك شهرة عظيمة بين المسلمين، فممن طعن فيه:

١ - الإمام الشافعي: قال أبو الفداء في تاريخه: «وروي عن

الشافعي رحمه الله تعالى أنه أسرَّ إلى الربيع أنه لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة، وهم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد<sup>(١)</sup>.

٢ - الحسن البصري: روى الطبري وابن الأثير وابن الجوزي وأبو الفداء وابن كثير وغيرهم، عن الحسن البصري، أنه قال: «أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنَّ إلا واحدة لكانت موبقة، انتزأه على هذه الأمة بالسُّفهاء حتى ابتزَّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلاف ابنه بعده سَكِيرًا خَمِيرًا يلبس الحرير، ويضرب بالطناير، وادعاؤه زيادًا، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حُجْرًا، ويأله من حُجْر وأصحاب حُجْر، مرتين»<sup>(٢)</sup>.

٣ - الإمام عبد الرزاق الصنعاني: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «قال أبو داود: وكان عبد الرزاق يعرض بمعاوية»<sup>(٣)</sup>.

وقال الذهبي في الميزان: «العقيلي: حدثني أحمد بن زكير

---

(١) تاريخ أبي الفداء المسمَّى «المختصر في أخبار البشر»، ج ١، ص ٢٥٩، ورواه البغدادي في «خزانة الأدب»، ج ٦ ص ٥١.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٠٨؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٨٧؛ المنتظم، لابن الجوزي، ج ٥، ص ٢٤٣؛ النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، ج ١، ص ١٨٥ - جميعهم ذكروه في حوادث سنة ٥١ للهجرة -؛ تاريخ أبي الفداء المسمَّى «المختصر في أخبار البشر»، ج ١، ص ٢٥٩، فصل استلحاق معاوية زيادًا؛ تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١٦٠، حوادث سنة ٤٥؛ البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٣٩، نقله بالمعنى؛ خزانة الأدب، ج ٦، ص ٥١.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٥٧٤، ط. الرسالة.

الحضرمي، حدثنا محمد بن إسحاق بن يزيد البصري، سمعت مَخْلَدًا الشَّعِيرِي يَقُول: كنت عند عبد الرزاق، فذكر رجلٌ معاوية، فقال: لا تُقَدِّرْ مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان»<sup>(١)</sup>.

و«عبد الرزاق الصنعاني»، من كبار العلماء ومن رجال الصحاح الستة (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه)، قال الحافظ ابن حجر: «قال محمد بن إسماعيل الفزارى: بلغني - ونحنُ بصنعاء - أن أحمد (بن حنبل) ويحيى (بن معين) تركا حديث عبد الرزاق، فدخلنا غمًّا شديد، فوافيت ابن معين في الموسم، فذكرتُ له. فقال: يا أبا صالح، لو ارتد عبد الرزاق ما تركنا حديثه»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضًا: «وقال يعقوب بن شيبة، عن علي بن المديني: قال لي هشام بن يوسف: كان «عبد الرزاق» أعلمنا وأحفظنا. قال يعقوب: وكلاهما ثقة ثبت»<sup>(٣)</sup>.

٤ - الحافظ جرير بن عبد الحميد: قال ابن حجر العسقلاني: «وقال الخليلي في الإرشاد: ثقة متفق عليه. وقال قتيبة: حدثنا جرير الحافظ المقدم، لكنني سمعته يشتم معاوية علانية»<sup>(٤)</sup>.

و«جرير بن عبد الحميد»، ثقةٌ عادل من رجال الصحاح الستة (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه)، قال

(١) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٦١٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٥٧٤.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٥٧٣.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٩٨.

ابن حجر العسقلاني: «قال محمد بن سعد: كان ثقةً، يُرْحَلُ إليه، وقال ابن عمّار الموصلي: حجة، كانت كتبه صحاحًا. وقال أبو القاسم اللالكائي: مُجْمَعٌ على ثقته، وقال أبو أحمد الحاكم: هو عندهم ثقة. وقال الخليلي في الإرشاد: ثقة متفق عليه. وقال ابن حبان: كان من العبّاد الخُشن. وقال علي بن المديني: كان جرير صاحب ليل، وثقه ابن حجر والعجلي وأبو حاتم والنسائي وغيرهم»<sup>(١)</sup>.

٥ - الحافظ الفضل بن دكين: قال الحافظ الذهبي: «أبو أحمد الحاكم: حدثنا الحسين الغازي، قال: سألت البخاري عن أبي غسان، قال: وعمّاذا تسأل؟ قلت: التشيع، فقال: هو على مذهب أهل بلده، ولو رأيتم عبید الله بن موسى، وأبا نعيم، وجماعة مشايخنا الكوفيين، لما سألتمونا عن أبي غسان. (قال الذهبي): وقد كان أبو نعيم وعبید الله معظّمين لأبي بكر وعمر، وإنما كانا ينالان من معاوية وذويه»<sup>(٢)</sup>.

و«أبو نعيم الفضل بن دكين»، هو الثقة العدل الحافظ من رجال الصحاح الستة (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه)، قال الذهبي: «أبو نعيم الفضل بن دكين الحافظ الكبير شيخ الإسلام...»<sup>(٣)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٢) سِيرَ أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٣٢.

(٣) سِيرَ أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٤٢.

٦ - الحافظ الكبير سليمان بن مهران الأعمش: روى البلاذري في «أنساب الأشراف» بسند صحيح، قال: «وحدثني عبد الله بن صالح العجلي، عن عبيد الله بن موسى، قال: ذكر معاوية عند الأعمش، فقالوا: كان حليماً، فقال الأعمش: كيف يكون حليماً، وقد قاتل علياً، وطلب - زعم - بدم عثمان من لم يقتله؟! وما هو ودم عثمان؟! وغيره كان أولى بعثمان منه. وحدثت عن شريك، عن الأعمش أنه قال: كيف يُعدُّ معاوية حليماً، وقد قاتل علي بن أبي طالب؟»<sup>(١)</sup>.

و«سليمان بن مهران الأعمش»، قال فيه الذهبي: «الأعمش سليمان بن مهران، الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الحافظ...»<sup>(٢)</sup>، وقال الحافظ ابن حجر: «وقال ابن المديني: حفظ العلم على أمة محمد ﷺ ستة: عمرو بن دينار بمكة، والزهري بالمدينة، وأبو إسحاق السبيعي، والأعمش بالكوفة، وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة»<sup>(٣)</sup>.

٧ - الإمام مسروق بن الأجدع: روى البلاذري في «أنساب الأشراف»، قال: «وحدثنا يوسف وإسحاق، قال: جرير عن الأعمش عن أبي وائل، قال: كنت مع مسروق بالسلسلة، فمرت

(١) أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٣٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٢٦، رقم ١١٠.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ١٠٦.

به سفائن فيه أصنامٌ من صفر تماثيل الرجال، فسألهم عنها، فقالوا: بعث بها معاوية إلى أرض السند والهند، تُباع له، فقال مسروق: لو أعلم أنهم يقتلونني لغرقتها، ولكني أخاف أن يعذبوني، ثم يفتنوني، والله ما أدري أي الرجلين معاوية، أرجلٌ يؤس من الآخرة، فهو يتمتع من الدنيا، أم رجلٌ زين له سوء عمله»<sup>(١)</sup>.

و«مسروق بن الأجدع»، قال فيه الذهبي: «مسروق ابن الأجدع، الإمام، القدوة، العلم، أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي... وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي»<sup>(٢)</sup>.

٨ - الحافظ شريك بن عبد الله: قال الذهبي في ميزان الاعتدال: «وروي أن قومًا ذكروا معاوية عند شريك، ف قيل: كان حلیمًا. فقال شريك: ليس بحليم من سَفَه الحق، وقاتل عليًا... قلت: قد كان شريك من أوعية العلم»<sup>(٣)</sup>، وقال في «سير أعلام النبلاء»: «شريك بن عبد الله العلامة الحافظ القاضي أبو عبد الله النخعي أحد الأعلام...»<sup>(٤)</sup>.

وممن طعن فيه - أيضًا - الإمام الشوكاني في كتابه<sup>(٥)</sup>.

(١) أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٣٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٦٣، رقم ١٧.

(٣) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٧.

(٥) نيل الأوطار، ج ٧، ص ٢٠٠.

ومنهم ابن أبي الحديد المعتزلي، قال طاعناً في معاوية: «ومعاوية مطعونٌ في دينه عند شيوخنا رحمهم الله، يرمى بالزندقة، وقد ذكرنا في نقض السفينية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعريض لرسول الله ﷺ وما تظاهر به من الجبر والإلجاء، ولو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربتة الإمام ما يكفي في فساد حاله...»<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: «ومعاوية عند أصحابنا مطعون في دينه منسوب إلى الإلحاد، قد طعن فيه ﷺ وسلم...»<sup>(٢)</sup>.

وقال الجاحظ «الكاتب والأديب الشهير»: «فعندما استوى معاوية على الملك، واستبدَّ على بقية الشورى، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمَّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقةٍ وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفساق، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما ربّنا حتى ردّ قضية رسول الله ﷺ ردّاً مكشوفاً، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر من إجماع الأمة على أنّ سُمية لم تكن لأبي سفيان فراشاً، وأنه إنما كان بها عاهراً، فخرج بذلك

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ١٠١.

من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار»<sup>(١)</sup>، وقال أيضًا: «كان عليّ لا يستعمل في حربه إلا ما عدّله، ووافق فيه الكتاب والسنة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكاييد، وجميع الخدع، حلالها وحرامها، ويسير في الحرب سيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى زنبيل، وفنغور إذا لاقى المهرج، وعليّ يقول: لا تبدؤوهم بقتل حتى يبدؤوكم، ولا تتبعوا مدبرًا، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تفتحوا بابًا مغلقًا»<sup>(٢)</sup>.

هذه حقيقة معاوية، وما ذكرناه ليس سوى غيضٍ من فيض...

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) رسائل الجاحظ، ص ٢٤١.

(٢) رسائل الجاحظ، ص ٣٦٥، الرسائل السياسية.

## دحض الاستدلال بظاهر الآية ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ على منع السؤال عن أحوال الصحابة

السائل: طالب علم

السؤال: يستدلُّ البعض بنهج الآية ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ لها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ فيقول كُلُّ عليه بنفسه، فما لَكُمْ تُهَيِّجُونَ أُمُورًا أَنْتُمْ بِحَلٍّ عَنْ شَأْنِهَا، فلا أَنْتَ حَامِلٌ وَزَرَ فُلَانٍ، ولا هو حَامِلٌ لوزرك.. فالسؤال متى يصحُّ الانتهاج بمنهج الآية؟ وما ردُّكم على هذه الأفاويل؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصاييح الظلام، وهُدَاة الأنام.

استدلَّ علماء أهل السُّنة بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ لها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿<sup>(١)</sup>، على الإمساك عما جرى بين الصحابة من حروبٍ وفِتَنِ، وهو في الواقع استدلال فاسدٌ من وجوه:

(١) البقرة: ١٣٤.

أن الاستدلال بظاهر الآية على أن الأمم الخالية لا ينبغي السؤال عن أخبارهم وقصصهم؛ لأن لهم ما كسبوا ولنا ما كسبنا، استدلال خاطئ قطعاً، ولا يفيد معنى الآية من قريب ولا من بعيد، وأحسن رد على هذا الظن هو ورود أخبار الأمم السابقة في القرآن نفسه!، بدايةً من آدم عليه السلام إلى نوح وقومه إلى إبراهيم وقومه، وكذلك أيوب وداود وسليمان والأسباط ويوسف وموسى وعيسى عليه السلام وغيرهم ممن قص الله علينا قصصهم في القرآن الكريم، فيجب على من كان يرى ضرورة الإمساك عما جرى بين الصحابة أن يراجع فهمه؛ لأن تفسير القرآن الكريم بهذه العجلة في الاستدلال وبلا منهج ولا جمع بين الآيات هو فعل مخالف للشرع.

علاوة على ذلك، فإن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، لا تدل على شيء مما ذهبوا إليه، ودونك نماذج من أقوال المفسرين في تفسير الآية:

قال الطبري في تفسيره: «القول في قوله تعالى «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، يعني تعالى ذكره بقوله «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ»: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم، يقول لليهود والنصارى: يا معشر اليهود والنصارى، دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهلُّه، ولا تنحلّوهم كفر اليهودية والنصرانية، فتضيفونها إليهم، فانهم أمة - ويعني بالأمة في هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس - «قد خلت» مضت لسيلها، وإنما قيل للذي قد مات، فذهب قد خلا لتخليه من الدنيا وانفراده بما كان من الأنس بأهله وقربائه في دنياه...».

إلى أن قال: «... ذكره لليهود والنصارى أن لمن نحلتموهم بضلالكم وكفركم الذي أنتم عليه من أنبيائي ورسلي ما كسبت والهاء والألف في قوله «لها» عائدة إن شئت على «تلك» وإن شئت على «الأمة» ويعني بقوله «لها ما كسبت» أي ما عملت من خير، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم، ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلون ما نحلتموهم من الملل، فتسألوا عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم يعملون، فيكسبون من خير وشر؛ لأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم، فإن الدعاوى غير مغنيتكم. وإنما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم، إن كنتم عملتموها، وقد متموها...»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير في تفسيره: «وقوله تعالى «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ» أي مضت، «لها ما كسبت ولكم ما كسبتم» أي أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم

(١) تفسير الطبري، ج ٣، ص ١٠٠ - ١٠١، ط. دار التربية والتراث.

تفعلوا خيراً يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم ولكم أعمالكم، «ولا تسألون عما كانوا يعملون». وقال أبو العالية والربيع وقتادة: «تلك أمة قد خلت» يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؛ ولهذا جاء في الأثر «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه». وقوله تعالى «تلك أمة قد خلت» أي قد مضت «لها ما كسبت ولكم ما كسبتم» أي لهم أعمالهم ولكم أعمالكم «ولا تُسألون عما كانوا يعملون» وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم من غير متابعة منكم لهم، ولا تغتروا بمجرد النسبة إليهم حتى تكونوا منقادين مثلهم لأوامر الله واتباع رسله الذين بُعثوا مبشرين ومنذرين، فإنه مَنْ كَفَرَ بِنَبِيِّ واحد فقد كفر بسائر الرسل، ولا سيما بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين رسول رب العالمين إلى جميع الإنس والجنّ من المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين»<sup>(١)</sup>.

ولم نجد تفسيراً معتبراً من التفاسير المشهورة، يخالف هذه القرارات التي ساقها كلُّ من الطبري وابن كثير، ولم نجد تفسيراً من التفاسير يستدلُّ بهذه الآية على وجوب الإمساك المزعوم.

وخلاصة التفسير لهذه الآية التي يستدلُّون بها على الإمساك المزعوم، أنها لا تحمل دلالة صريحة على ما يظنون، ويزعمون، والدليل على عدم دلالتها على ما ذهبوا إليه من وجوه كثيرة، أبرزها ثلاثة:

(١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٤٧، د. السلامة.

**الوجه الأول:** أن هذه الآية نزلت في اليهود منكراً عليهم ادّعاءهم أن إبراهيم كان يهودياً، فكانوا يفتخرون بأن إبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء **عليه السلام** كانوا يهوداً، مثلما نحن اليوم نفتخر بأن منّا من فتح المشرق والمغرب، فنتعنى بالتفاخر بالسلف الصالح، وكأننا مسؤولون عن أعمالهم لا عن أعمالنا! فنحن نعمل عمل اليهود نفسه الذين وبّخهم الله عز وجل على تفاخرهم بأنبيائهم ونسيانهم صالح الأعمال!

إذن، فالآية لها سببٌ خاصٌ يحدّد الإطلاق الظاهر من الآية.

**الوجه الثاني:** أننا مأمورون بالتفكير والتحدّث عن الأمم السابقة؛ لأن القرآن الكريم مليء بالآيات والسور عن الأمم السابقة، وأن هذه الأحداث التي حدثت في عهد الصحابة كفتنة عثمان وما جرى بعدها جاءت فيها أحاديث صريحة، فلا يجوز أن نضرب حديث عمار ولا حديث الخوارج ولا حديث الحوآب ولا حديث الزبير عن طريق هذه الآية مع سوء فهمنا لها! وكذلك لا يجوز أن نضرب غيرها من الأحاديث الصحيحة في شأن ما جرى بين الصحابة بالاستدلال بهذه الآية.

**الوجه الثالث:** وقد يقول البعض: إننا ينبغي أن نتكلم عن محاسن الماضين، ونترك الكلام في أخطائهم! وهذا يخالف القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ إذ ورد في القرآن بيان خطأ بعض الصحابة، سواء تلك الأخطاء الجماعية كتركهم النبي

صلى الله عليه وآله وسلم يخطب قائماً وخروجهم لأجل التجارة، وما حصل من كثير منهم يوم أُحد عند مخالفتهم لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبقاء على جبل الرماة، وقد نزل القرآن الكريم أيضاً بتخطئة الصحابة يوم حنين وتفاخرهم بكثرتهم، وأيضاً نزل القرآن الكريم بتخطئة أفراد من الصحابة كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة، ونزل القرآن الكريم بالحكم بالفسق على «الوليد بن عقبة» وهو صحابي - حسب تعريفهم - كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ونحو ذلك من القصص.

فهل نترك هذه العبر والدروس والأحداث المذكورة في القرآن الكريم بلا استفادة ولا بحث ولا دراسة من أجل تفسير خاطئ لقوله تعالى: «تلك أمة قد خلت»؟!

هل الاستفادة من كتاب الله بعبّره ودروسه وفوائده تقتصر على القرن الأول فقط؟! أو أن الواجب علينا أن نستفيد من كلّ ما ذكره القرآن الكريم، سواء ما ذكره عن أحداث أو أشخاص أو أخطاء أو محاسن... إلخ؟! لا ريب عند المسلم العاقل أن هذا الأخير هو الحق والصواب.

أما السنة النبوية الصحيحة فمخالفتها للاستدلال الخاطئ بهذه الآية واضح في أدلة كثيرة جداً، منها حديث عمار «ويح عمار

تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار»<sup>(١)</sup>، والحديث ظاهر الدلالة بأنه كلام فيما شجر بين الصحابة، وأنه يخالف ما يذهب إليه بعضهم من وجوب الإمساك المطلق الذي لا يدلّ عليه دليل صحيح.

ومنها قول النبي ﷺ: «تمرّق مارقةً على حين فرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»<sup>(٢)</sup> وهذا الحديث فيه حُكم واضحٌ من (النبي ﷺ) بأن عليّاً عليه السلام على الحق؛ لأنه هو الذي قاتل الخوارج يوم النهروان، ووجد فيهم العلامة التي ذكرها (النبي ﷺ). وقد شهد أبو سعيد الخدري بسماعه حديث «تمرّق مارقة على حين فرقة»، قال: «أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن عليّاً قتلهم، وأنا معه»<sup>(٣)</sup>.

إذن، النبي ﷺ، لم يمسك ذلك الإمساك المزعوم على إطلاقه.

وانظر للاستزادة حول هذه المسألة، كتاب "حسن الإجابة في عقيدة الإمساك عما شجر بين الصحابة"، لحسن بن فرحان المالكي<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّين.

(١) صحيح البخاري، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٤٥، ت. عبد الباقي.

(٣) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٥٤١، ت. البغا.

(٤) ص ٨ - ١٢.

## عيد الغدير.. قصة البداية على يد عمر بن الخطاب

المستشكل: عبد اللطيف عامري  
الاستشكال: هل ورد ذكر عيد الغدير صراحةً في القرآن الكريم  
لتحتفلوا به؟ أجبوا يا رافضة!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد  
 وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهداة الأنام.

وهل ورد ذكر عيد الفطر أو عيد الأضحى صراحةً في القرآن  
 الكريم، حتى تطالبنا بآية صريحة تنص على عيد الغدير؟!

وإذا لم توجد آية صريحة تذكر عيد الفطر أو عيد الأضحى،  
 فهل نلغي الاحتفاء بهذين اليومين المباركين؟!

فإن قلت: السنة صرحت بالعيدين!!

قلنا: إن السنة نفسها صرحت -أيضاً- بعيد الغدير، وكان عمرُ  
 بن الخطاب أكثر الصحابة حفاوةً بهذا اليوم، حيث بادر بأخذ يد

عليّ عليه السلام وقال له: «بخ بخ لك يا عليّ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة». وقد شهد كثيرٌ من علماء أهل السنة بدلالة هذا الحديث المتواتر على يوم التنصيب، منهم الإمام أبو حامد الغزالي الذي قال في كتابه «سرُّ العالمين» الموجود ضمن «رسائل الإمام الغزالي»، ما نصّه: «لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهيرُ على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خمّ باتفاق الجميع، وهو يقول: مَنْ كُنْتُ مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. فهذا تسليمٌ ورضًا وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحبّ الرئاسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار؛ سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً»<sup>(١)</sup>.

إن قلت: إن عيد الفطر والأضحى جاء بعد ختام عبادتين عظيمتين!!

قلنا: الإمامة وولاية أمر الناس أعظم الواجبات، وهذا ما تأكّد لعلمائكم، فقد صرّح ابن تيمية في كتابه «مجموع الفتاوى»، بأن ولاية أمر الناس أصل الدين وأعظم واجباته، بل قيام الدين والدنيا متوقّفٌ عليها، حيث قال: «يجب أن يُعرف أن ولاية أمر

(١) رسائل الإمام الغزالي، ص ٤٨٣، كتاب سر العالمين، تـ. إبراهيم أمين محمد، ط. المكتبة التوفيقية، القاهرة.

الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها»<sup>(١)</sup>.

إن قلت: لم يذكر التاريخ أن للمسلمين عيداً اسمه الغدير!!

قلنا: عدّه الفيلسوف والمؤرخ أبو الريحان البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ) في كتابه «الآثار الباقية في القرون الخالية»، مما استعمله أهل الإسلام من الأعياد<sup>(٢)</sup>.

وفي «مطالب السؤل» لابن طلحة الشافعي: «يوم غدير خم، وقد ذكره عليٌّ عليه السلام في شعره، وصار ذلك اليوم عيداً وموسماً؛ لكونه كان وقتاً خصّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله عليّاً بهذه المنزلة العلية، وشرفه بها دون الناس كلهم»<sup>(٣)</sup>.

ويظهر من غير موردٍ في كتاب «الوفيات» لابن خلكان، التسالم على تسمية هذا اليوم عيداً، ففي ترجمة «المستعلي بن المستنصر»، قال: «وبويع في يوم عيد غدير خم، وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة»<sup>(٤)</sup>.

وقال في ترجمة المستنصر بالله العبيدي: «وتوفي ليلة

(١) مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٣٩٠.

(٢) يُنظر: الآثار الباقية في القرون الخالية، ص ٣٣٤.

(٣) مطالب السؤل، لابن طلحة الشافعي، ص ٩٤، ت. العطية.

(٤) وفیات الأعيان، ج ١، ص ١٨٠، ت. إحسان عباس، ط. دار صادر؛ الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ١١٩، ط. إحياء التراث.

الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى. قلت: وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير، أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة، وهو غدير خم<sup>(١)</sup>.

وعَدَّ أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ليلة الغدير من الليالي المضافات المشهورة في الإسلام، قال في كتابه «ثمار القلوب»: «ليلة الغدير: هي الليلة التي خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غدها بغدير خمٍّ على أقتاب الإبل، فقال في خطبته "من كنت مولاه فعليُّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله"»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا عدّها الزمخشري (ت ٥٨٣هـ)، من الليالي المشهورة في كتابه «ربيع الأبرار»، قال: «ليلة الغدير: معظّمة عند الشيعة، مُحيّة فيهم بالتهجّد، وهي الليلة التي خَـطب فيها رسول الله بغدير خمٍّ على أقتاب الإبل، وقال في خطبته: مَنْ كُنْتُ مولاه فعليُّ مولاه»<sup>(٣)</sup>.

ونحوهما شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) أيضًا عدّها من الليالي المشهورة، فقال: «من الليالي المشهورة: ليلة البراءة. وهي ليلةُ النصف من شعبان، قيل: سُمِّيت بذلك؛ لأنها براءةٌ لمن يحييها؛ وليلةُ القدر. والصحيح أنها في مفردات العشر الأخير

(١) وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٣٠.

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٦٣٦، ط. دار المعارف، القاهرة.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ج ١، ص ٧٠، ط. الأعلمي.

من شهر رمضان؛ وليلة الغدير. وهى ليلة الثامن عشر من ذي الحجة<sup>(١)</sup>.

ومما سبق نستنتج أن عدم وجود نصٍّ صريح في القرآن الكريم يذكر عيد الغدير لا يُلغي إمكانية اتخاذه عيداً، وذلك بناءً على ثبوته في السُّنة القطعية المتواترة، شأنه في ذلك شأن عيدي الفطر والأضحى، حيث لم يرد لهما ذكرٌ صريحٌ في القرآن.

وتزداد قيمة اعتبار يوم الغدير عيداً؛ كونه يمثل يوم تنصيب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ممّا يعني أن قيام الدين والدنيا متوقّفٌ على هذا الحدث الجلل، كما أكّد ذلك ابنُ تيمية، وصرّح به، وكما تُظهر الشواهد التاريخية أن بعض كبار علماء المسلمين قد عدّوا ليلة الغدير من الليالي المشهورة في الإسلام.

وبالنتيجة، فإنّ عدم وجود نصٍّ صريح في القرآن الكريم لا يُعدّ مانعاً من اتّخاذ يوم الغدير عيداً، بل إنّ ذلك مدعومٌ بنصوص السُّنة المتواترة، والشواهد التاريخية.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، ج ١، ص ١٣٢، ط. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

## من يمدح علياً، وينتقد الصحابة يُصبح مشكوكاً في صحة انتساب كتابه إليه، وكتاب "الإمامة والسياسة" مثال على ذلك

السائل: أبو محمد الباقر.

السؤال: ما الأدلة الدامغة على صحّة نسبة كتاب الإمامة والسياسة إلى ابن قتيبة الدينوري؟ لأن علماء مدرسة الخلافة يشكّون في صحة نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، ويقول بعضهم بخلو الكثير من مرويات الكتاب من الإسناد، وتتردّد عباراتٌ مثل: «وذكروا»، أو «حدثنا بعض مشائخ المغرب» وصياغات أخرى مشابهة في مطلع الرواية، دون أن يذكر من هم، أو يحدد مصدر الرواية الأصلي. ويشوب الكتاب كذلك عديدٌ من المغالطات التاريخية، فتعارض بعض مروياته مع ما ورد في مراجع التاريخ المعتبرة. فالمؤرخ أبو بكر ابن العربي في كتابه «العواصم من القواصم»، انتقد بشدّة مرويات الكتاب، وفنّدها، وتحامل على ابن قتيبة تبعاً لذلك مشتركاً صحة نسبته إليه.

والدكتور علي نفيع العلياني في كتابه «عقيدة الإمام ابن قتيبة»، ذكر الكتاب، وذكر مأخذه عليه، ورّجّح أن كاتبه من الروافض، وأردف عنه ما نصّه: «أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة نظراً لكثرتها ونظراً لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سمعةٌ حسنة في المغرب.» وساق

بعدها أدلته حول ذلك.

والدكتور عبد الله عسيلان أَلَفَ كِتَابًا بعنوان: «كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» ساق فيه اثني عشر دليلاً على بطلان نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة.

والأديب ومحقق التراث محب الدين الخطيب في تحقيقه لكتاب ابن قتيبة «الميسر والقдах» ساق إشاراتٍ من الكتاب تُريّه في نسبته لابن قتيبة، واستدل بأقوالٍ لغيره، كانت لديهم ذات الريبة.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهّرين مصاييح الظلام، وهُدَاة الأنام.

ما ذكرته آنفاً في سؤالك أوردته "د. علي الصلابي" في منشورٍ له تحت عنوان "كتب تاريخية ساهمت بتشويه تاريخ الصحابة الكرام رضوان الله عليهم"، على موقع "المجتمع".

وهذا العنوان ينبئ عن علّة الشك في نسبة كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، ودونك الإشارة؛ إذ بها الحرُّ يكتفي:

قال: «من الكتب التي شوّهت تاريخ صدر الإسلام كتاب "الإمامة والسياسة"»، ثم أرففه بقوله: «ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب "نهج البلاغة"» ثم ذكر

كتاب الأغاني للأصفهاني، ووصفه بالشعوبية والدس، والكذب الفاضح والطعن والمعائب، ووجّه قوارصه نحو تاريخ يعقوبي، وقال بأنه: «لا يعترف بالخلافة إلا لعلّي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمّي عليّاً بالوصي، وعندما أرّخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضفِ عليهم لقب الخلافة»، وهكذا ذكر المسعوديّ وتاريخه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" فقال: «قد أولى الأحداث المتعلّقة بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه (مروج الذهب) اهتماماً كبيراً أكثر من اهتمامه بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتاب المذكور، وركّز اهتمامه بالبيت العلويّ، وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه (مروج الذهب)، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام».

ثم ذكر من حيث يدري، ولا يدري علّة الشك بنسبة الكتاب إلى ابن قتيبة الدينوري، فقال:

١- ذكر ابن قتيبة الدينوري على لسان عليّ عليه السلام، أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تُخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تُدافعوا أهلَه مقامَه في الناس وحقه، فوالله - يا معشر المهاجرين - لنحن أحقُّ الناس به؛ لأنّا أهل البيت، ونحن أحقُّ بهذا الأمر منكم... والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلُّوا عن سبيل الله...

٢ - انتقد الصحابة، وذكر بعض مساوئهم، فصوّر ابن عمر جباً، وسعد بن أبي وقاص حسوذاً، وذكر أن محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيبر، وإن عائشة أمرت بقتل عثمان.

٣ - أنه كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مئتي صفحة!!

بهذا يحاول المتعصبون من أنصار السقيفة دحض حقائق كتاب "الإمامة والسياسة" باستخدام مغالطاتٍ واتهامات كاذبة. زعموا زوراً أنه من تأليف الرافضة، ونسبوا له عيوباً لا أساس لها من الصحة، بهدف إسقاط قيمته ونفيه عن مؤلفه الحقيقي.

والمضحك المبكي في آنٍ واحدٍ هو تهجُّم "ابن العربي" على "ابن قتيبة"، ووصفه بالجاهل الغافل، الأمر الذي يوحى للقارئ صحة نسبة كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، وإلا لماذا وصفه بهذا الوصف القاسي إن لم يكن من مصنفاته؟! قال ابن العربي في كتابه "العواصم والقواصم": «ومن أشدّ شيء على الناس جاهل غافل، أو مبتدع محتال. فأما الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يُبق، ولم يَدَرَ للصحابة رسماً في كتاب الإمامة والسياسة»<sup>(١)</sup>.

(١) العواصم من القواصم، ص ٢٦١، ط. دار الجيل.

ومما سبق، نستنتج أن الشك في نسبة كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة الدينوري لا ينبع من أدلة علمية، بل من دوافع عصبية مذهبية وحقيدٍ دفين على عليٍّ وآل عليٍّ **عليه السلام**.

ثم ما قيمة الدكتور علي نفيح العلياني وكتابه «عقيدة الإمام ابن قتيبة»، والدكتور عبد الله عسيلان وكتابه: «كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي»، ومحب الدين الخطيب، وتحقيقه لكتاب ابن قتيبة «الميسر والقِداح»، أمام كبار أئمة أهل السنة والجماعة أمثال أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، ذلك الإمام صاحب التفسير المشهور الذي يحمل اسمه، المعروف بمكانته الفريدة في العقيدة السنية، إلى الحد الذي جعل ابن حجر الهيتمي يصرِّح مؤكِّدًا أنَّ الأهواء المنكرة هي العقائد الفاسدة التي تناقض عقيدة إمامي أهل السنة والجماعة: أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح: «...ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾» فالمراد بالأهواء مطلقًا الاعتقادات، وبالمنكرات الأهوية الفاسدة التي غير مأخوذة من الكتاب والسنة، وقال ابن حجر: والأهواء المنكرة هي الاعتقادات الفاسدة المخالفة لما عليه إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام حسن بن أبي عذبة صاحب "الروضة البهية":

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ٤، ص ١٧١٢.

«اعلم أن مدار جميع عقائد أهل السنة والجماعة على كلام قطبين: أحدهما: الإمام أبو الحسن الأشعري والثاني: الإمام أبو منصور الماتريدي. فكل من اتبع واحداً منهما اهتدى، وسلم من الزيغ والفساد في عقيدته»<sup>(١)</sup>.

الآن أنعم النظر في ما قاله الماتريدي في تفسيره "تأويلات أهل السنة"، عن كتاب "الإمامة والسياسة"، قال: «ومن أشهر المؤلفات في القرن الثالث: كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ، وكتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا الحافظ تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت ٨٣٢ هـ)، الذي قال عنه ابن حجر العسقلاني: «ولم يخلف بالحجاز بعده مثله»<sup>(٣)</sup>.

قال الفاسي في كتابه "شفاء الغرام"، في سياق حديثه عن ولاية "مسلمة بن عبد الملك": «ولاية مسلمة بن عبد الملك حكاها ابن قتيبة في "الإمامة والسياسة"، وكلامه صريح في أنه وليها لأبيه»<sup>(٤)</sup>.

(١) الروضة البهية، لأبي عذبة، ص ٣.

(٢) تفسير الماتريدي "تأويلات أهل السنة"، ج ١، ص ٦٩.

(٣) طبقات الحفاظ، للسيوطي، ص ٥٥٠.

(٤) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لأبي الطيب الفاسي، ج ٢، ص ٢٠١.

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: «ابن قتيبة "٢١٣ - ٢٧٦ هـ" هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد، الدينوري. من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين... من تصانيفه: "تأويل مختلف الحديث"، "الإمامة والسياسة"، و...»<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور السلفي عمر سليمان الأشقر المتلمذ على يد ثلاثة من كبار شيوخ السلفية، هم: عبد العزيز بن باز، وناصر الدين الألباني، ومحمد الشنقيطي، يقول الدكتور الأشقر في كتابه "نحو ثقافة إسلامية": «الفصل الخامس المؤلفات في النظام السياسي في الإسلام... ومن الذين ألفوا في هذا الموضوع من القدامى ابن قتيبة، له كتاب الإمامة والسياسة»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في "الموسوعة الميسرة": «الإمامة تعني الخلافة، وقد صنّف فيها من أهل السنة المتقدمون والمتأخرون، فمن المتقدمين ابن قتيبة صنّف "الإمامة والسياسة"»<sup>(٣)</sup>.

وفي "مجلة المنار" صرّح محمد رشيد رضا بأن كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، لا يمكن لمسلم أن يستغني عنه، حيث قال: «كتاب الإمامة والسياسة: كنا نسمع بهذا الكتاب، ونرى اسمه في الكتب، فتمنى لو نراه لمكان مؤلفه أبي عبد الله بن قتيبة في العلم وتقدمه في الزمن، فهو من أهل القرن الثالث

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، لعمر بن سليمان الأشقر، ص ٣٤٥.

(٣) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، ج ١، ص ٣٣٧.

ومن أصحاب الرواية حتى أتاح الله لطبعه في هذه السَّنة محمد أفندي محمود الرافعي، وهو تاريخٌ للخلفاء الراشدين ومَن بعدهم من ملوك المسلمين إلى عهد المأمون. والكتاب في انسجام عبارته وتحريِّ مؤلفه في روايته مما لا يستغني المسلم عن قراءته، ومن قرأه معتبراً يعرف شيئاً من قوة روح الإسلام<sup>(١)</sup>.

أفبعد هذا الذي تقدَّم يشكُّ عاقلٌ في نسبة كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري؟!!

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّين.



(١) مجلة المنار، ج ٧، ص ٩٤٨، ١٦ ذو الحجة - ١٣٢٢ هـ - ٢٠ فبراير - ١٩٠٥ م.

## قول "يا محمد يا علي..." في قنوت الصلاة

السائل: الشيخ حسين آل حمدي

السؤال: ما حكم قراءة دعاء الفرج: (اللهمَّ عظم البلاء، وبرح الخفاء.... يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، اكفياني فإنكم كافياي....)، والسؤال: هل يجوز قراءة هذا الدعاء في قنوت الصلاة الواجبة؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهداة الأنام.

السؤال الذي ينبغي طرحه قبل الجواب هو: هل يجوز الدعاء بصيغة الخطاب - أي خطاب غير الله تعالى - في الصلاة، أو لا؟

إن من جملة المبطلات في الصلاة التكلم بكلام الأدميين، لكن ليس على إطلاقه؛ إذ يجوز قراءة القرآن والذكر والدعاء في الصلاة لا بقصد الخصوصية، فلا إشكال في الدعاء للأشخاص بمخاطبة الله سبحانه، نحو: "اللهم اغفر لزيد"، فهذا مما لا كلام فيه، وإنما الكلام في مخاطبة "زيد" بالدعاء له في الصلاة، نحو:

"غفر الله لك"، فقد احتاط جُلُّ الفقهاء وجوبًا بعدم جواز مخاطبة غير الله سبحانه في الصلاة، بل مَنَعَ ذلك بعضهم مطلقًا في تعليقاتهم على متن "العروة الوثقى" للسيد اليزدي (رضوان الله تعالى عليه). فقد علّق السيد الخميني رحمته على قول السيد اليزدي «لا بأس بمخاطبة غير الله تعالى في الدعاء» بقوله: «الأقوى مبطلية مطلق مخاطبة غير الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وأما السيد السيستاني (دام ظله) فقد احتاط وجوبًا بترك المخاطبة<sup>(٢)</sup>.

وأكد الشيخ الفيّاض (دام ظله) هذا الأمر في تعليقه بقوله: «في عدم البأس إشكال بل منع؛ وذلك لأنّ شمول الدعاء الوارد في روايات القنوات لمثل هذا الدعاء المشتمل على المخاطبة مع غيره تعالى لا يخلو عن إشكال بل منع حيث يصدق على المصلّي أنه تكلم في صلاته بما يشتمل على المخاطبة مع الناس ناويًا به، وإذا صدق بطلت صلاته. فالنتيجة أنّ التكلم بما يتضمّن الدعاء والمخاطبة مع غيره تعالى معًا إذا كان ناويًا به المخاطبة يوجب بطلان صلاته، سواء نوى به الدعاء أيضًا أم لا»<sup>(٣)</sup>.

ويرى الشيخ لطف الله الصافي الكلپايگاني رحمته: أنّ الأحوط

(١) العروة الوثقى، السيد اليزدي، ج ٣، ص ١٤.

(٢) العروة الوثقى، ج ٢، ص ١٩٩.

(٣) تعاليق مبسوطة، ج ٣، ص ٣٥٢.

ترك الدعاء خطاباً للغير<sup>(١)</sup>، وقال الشيخ الفاضل اللنكراني **قدس**:  
 «الظاهر أنَّ مخاطبة الغير مبطلَةٌ مطلقاً»<sup>(٢)</sup>، وغير هؤلاء الأعلام  
 يفتون بذلك أيضاً مما لا يسع هذا المختصر استقصاء آرائهم.

وبهذا يتّضح أنَّ الفقهاء الأعلام قد استشكلوا على القول بعدم  
 البأس بمخاطبة غير الله تعالى في الدعاء، فأفتى بعضهم بالمنع  
 مطلقاً، وآخرون احتاطوا وجوباً باجتناب ذلك.

وبعد وضح هذه المقدمة، يأتي الكلام عن قول القائل (يا  
 محمّد يا عليّ، يا عليّ يا محمّد، اكفياني فإنكما كافيائي....) في  
 دعاء القنوت، هل هو خطاب للغير الله تعالى، أو لا؟

بناء على أقوال الفقهاء الأعلام المانعين من جواز مخاطبة  
 غير الله عزّ وجلّ في الدعاء، ينبغي أن يكون الخطاب موجّهاً إلى  
 الله تعالى بلا فرق بين الأدعية المأثورة وغيرها، فلا يجوز القول  
 في الصلاة (يا محمد يا علي اكفياني فإنكما كافيان و..)؛ لوضوح  
 أنه خطاب للغير الله تعالى، على رغم أنه مأثور ومن مصاديق  
 التوسّل المرغّب فيه في غير الصلاة، ولكنه في النهاية خطابٌ  
 موجّهٌ للغير الله تعالى، وقد ورد في الروايات أنه يجوز أن "يتكلّم  
 الرجل في صلاة الفريضة بكل شيءٍ يناجي ربه"، والمذكور إنما  
 هو توسّل، وليس من الدعاء ولا المناجاة لله سبحانه، ولهذا منعه

(١) هداية العباد، ج ١، ص ١٤٦.

(٢) العروة الوثقى، ج ١، ص ٥٣٢.

الفقهاء في الصلاة وإن كان في حدّ ذاته من أفضل القُرْبَات ومن أفضل طرق التقرُّب إلى الله تعالى.

إلا أنّ بعض المحقّقين ذهب إلى جواز مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله والأولياء؛ لأن مخاطبتهم ملحقة بمخاطبة الله تعالى من حيث إنهم وسائل النعم. فلا بأس بمخاطبة الأئمة عليهم السلام في أثناء الصلاة، ولا يخرج ذلك عن كونه دعاءً، بل في بعض الروايات ما يدلُّ على ذلك كما ورد: أنه لا بأس بذكر الله والنبي صلى الله عليه وآله في الصلاة على ما رواه في الوسائل. ففي مثل قول "يا رسول الله" وأمثال ذلك، بل في مثل السلام عليه وعلى الأئمة لا بأس به، ولا يندرج في كلام الآدميين لانصرافه إلى غير ذلك <sup>(١)</sup>.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) كتاب الصلاة، تقارير بحث النائيني، للكاظمي، ج ٢، ص ١٨٣.

## موقف السيد الخميني رحمته الله من سند الصحيفة السجادية

السؤال: السلام عليكم. ما مدى اعتبار الصحيفة السجادية عند علماء المذهب؟ وهل تضعيف السيد الخميني لسند الصحيفة (في كتاب المكاسب المحرمة - ج ١ - ص ٤٨١ ط. مطبعة اعتماد - قم) واعتبارها لا تصح للاحتجاج فقهيًا، أمرٌ صحيحٌ أو أنَّ فهم المخالفين لكلام السيد الخميني غيرٌ صحيح؟ وإذا كانت ضعيفةً، ولا يصح الاحتجاج بها فقهيًا فكيف احتجَّ بها بعضُ المؤلِّفين على الإمامة في ردِّ شبهة القراءة المنسية؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

شاعَ ذِكر الصحيفة السجادية في كتب الشيعة، وفاضت بها، وكثُر فيها تكرارها، وحظيت بالعناية روايةً وحفظًا، وإسنادًا وتفسيرًا، واستدراكًا، فقد رواها الألف، وبلغت شروحها المئات، وجاوزت ترجماتها العشرات، حتى زادت عدةً أسانيدًا على ستة

وخمسين ألفاً، وما زال العلماء يتلقونها موصولة الإسناد بالإسناد<sup>(١)</sup>.

وأكد العلامة المجلسي في البحار، والطهراني في الذريعة أن الصحيفة السجادية قد وصلت حدّ التواتر من حيث السند؛ لأنه جاز لرواتها قراءتها بكلّ الطبقات وفي جميع العصور<sup>(٢)</sup>.

وقال العلامة الشيخ باقر القرشي: «سند الصحيفة ينتهي إلى الإمام الأعظم أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وإلى الشهيد الخالد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وقد ذكرت سلسلة السند في مقدمة الصحيفة، وقد حظي بالتواتر حتى زاد على ستة وخمسين ألفاً، وما زال العلماء يتلقونها موصولة الإسناد بالإسناد؛ قال السيد محسن الأمين العاملي: وبلاغة ألفاظها وفصاحتها التي لا تبارى وعلوّ مضامينها وما فيها من أنواع التذلل لله تعالى والثناء عليه والأساليب العجيبة في طلب عفوهِ وكرمه والتوسّل إليه أقوى شاهدٍ على صحة نسبتهَا وأن هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرةً لا تقبل الرّيب وتعدّد أسانيدِها المتصلة إلى منشئها (صلوات الله عليه) وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة إلى زين العابدين عليه السلام وقد كانت منها نسخةٌ عند زيد الشهيد، ثم انتقلت إلى أولاده وإلى أولاد عبد الله بن الحسن المثنى كما هو مذكورٌ في أولها،

(١) يُنظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الخطيب، ج ٣، ص ١٥١.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٥٩؛ والذريعة، ج ١٥، ص ١٨-١٩.

مضافاً إلى ما كان عند الباقر عليه السلام من نسختها، وقد اعتنى بها الناس أتمّ اعتناء بروايتها وضبط ألفاظها ونسخها، وواظبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل والنهار والعشي والأبكار.

إن سند الصحيفة قطعي لا يقبل الجدل ولا الشك، فقد تواتر إلى حدّ اليقين مضافاً إلى بلاغتها الفائقة التي لا تصدر إلا عن هذا الإمام العظيم<sup>(١)</sup>.

وقد ألّف الكلّباسي (ت ١٣١٥ هـ) رسالةً مستقلة في تحقيق سند الصحيفة السجادية، وطبعت ضمن كتابه "الرسائل الرجالية"<sup>(٢)</sup>.

وقد استند كثيرٌ من الفقهاء والمفسّرين في كتبهم واستدلالاتهم لفقراتٍ من الصحيفة السجادية<sup>(٣)</sup>.

والسؤال حول تضعيف السيد الخميني قدس سره لسند الصحيفة السجادية واعتبارها غير صالحة للاحتجاج الفقهي ليس دقيقاً تماماً. نعم، ذكر قدس سره ضعف سند الصحيفة السجادية، لكنه أكّد أن مضمونها يتمتّع بسموّ المعاني وفصاحة اللغة وبلاغتها، مما يجعلنا نشق بصدورها عن الإمام عليه السلام بنحوٍ إجمالي، إلا أنّ هذا لا يعني قبول جميع فقراتها دون تمحيص، حيث قال: «حتى في

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج ٢، ص ١١٧-١١٨.

(٢) يُنظر: الرسائل الرجالية، ص ٥٥٩-٦٢٤.

(٣) يُنظر: الروضة البهية، ج ٢، ص ٢٧٣؛ الحقائق الناضرة، ج ١٦، ص ٣٩٠؛ جواهر الكلام، ج ١١، ص ١٥٨؛ كتاب المكاسب، للأصاري، ج ١، ص ٣٣٨؛ تفسير كنز الدقائق، ج ٢، ص ٢٣٧؛ تفسير الميزان، ج ١، ص ٤٠٩.

الصحيفة المباركة السجادية فإنَّ سندها ضعيف، وعلوّ مضمونها وفصاحتها وبلاغتها وإن توجب نحو وثوق على صدورها، لكن لا توجهه في جميع فقراتها واحدة بعد واحدة حتى تكون حجة يُستدل بها في الفقه، وتلقّي أصحابنا إياها بالقبول كتلقّيهم نهج البلاغة به لو ثبت في الفقه أيضًا إنما هو على نحو الإجمال، وهو غير ثابت في جميع الفقرات<sup>(١)</sup>.

علاوة على ذلك فقد استند **تَدْنِي** إلى بعض فقرات دعاء التوبة من "الصحيفة السجادية" في مباحث البيع لبيان الشرط الضمني في البيع، فقال: «وأما بعض فقرات دعاء التوبة من الصحيفة الكاملة، وهو: "وأوجب لي محبّتك كما شرطت، ولك يا ربّ شرطي أن لا أعود"، فلأن الحبّ معلّق على التوبة، والشرط في الفقرة الثانية ضمني»<sup>(٢)</sup>.

وكيف كان، فإنه ينبغي مراعاة أنّ المنهج العلمي يدعو إلى محاكمة المذاهب على أساس الرأي المشهور أو الرأي المتفق عليه، وليس على الآراء النادرة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّين.



(١) المكاسب المحرمة، السيد الخميني، ج ١، ص ٣٢٠.

(٢) كتاب البيع، للسيد الخميني، ج ١، ص ٩٠.

## البكاء على الحسين عليه السلام لا يتنافى مع الصبر وترديد "إنا لله وإنا إليه راجعون"

السائل: مجهول - العراق

السؤال: قال الله في القران: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة / ١٥٦، فلماذا عندما أصابت الشيعة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكون، وقيمون الشعائر.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأَنَام.

لا يُنافي بكاء المُصاب بمصيبة ما التزمه بقول "إنا لله وإنا إليه راجعون"، فهو سلوكٌ فطريٌّ ينبثق من طبيعة الإنسان، فهو مجبورٌ على الاستجابة لغرائزه وعواطفه، ومنها البكاء؛ إذ هو يخفف من لوعة المصاب، ويطفىئ غائلة الخطب، وقد دلّ الدليل الشرعي على مشروعيته، ومشروعية الحزن مأخوذة من الكتاب والسنة، ففي سورة يوسف، يصف الله تعالى حال النبي يعقوب

عليه السلام وحزنه وبكائه على ولده يوسف عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبري في تفسيره: «وقوله: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾، يقول: حتى تكون دنف الجسم، مخبول العقل، وأصل الحرَض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق»<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن الزمخشري في «الكشاف» أن رسول الله ﷺ سأل جبرائيل: «ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى. قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله ساعة قط..» وعلّق على الحديث قائلاً: «فإن قلت: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟، قلت: إن الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك حُمد صبره، وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن، ولقد بكى رسول الله على ولده إبراهيم، وقال: القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يُسخط الرب، وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن رسول الله ﷺ هو من أوحى الله إليه بقوله:

(١) يوسف: ٨٥.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٦، ص ٢٢١.

(٣) تفسير الزمخشري، ج ٢، ص ٤٩٧-٤٩٨.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ومع ذلك نجد أن النبي ﷺ قد بكى على الشهداء من صحابته في مواطن عديدة، فقد روى البخاري في صحيحه، قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، وذكر واقعة مؤتة، وقال: لقد أخذ الراية زيد بن حارثة، وأُصيب، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وأُصيب، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وأُصيب، ثم بكى رسول الله، ودموعه تذرِف على خديهِ»<sup>(٢)</sup>.

وبكى ﷺ على ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وأمر بالبكاء عليه، وقال: «على مثل جعفر فلتبكِ البواكي»<sup>(٣)</sup>.

وبكى ﷺ على عمِّه حمزة يوم استشهد في أحد، وأمر بالبكاء عليه لما سمع بكاء الأنصار على قتلاهم، وقال: «لكن حمزة لا بواكي له»<sup>(٤)</sup>.

وبكى ﷺ على ولده الحسين عليه السلام لما أخبره جبريل بمقتله، فقد ثبت في حديث صحيح، رواه كبار علماء أهل السنة كابن حجر في تهذيب التهذيب<sup>(٥)</sup>، والمزي في تهذيب الكمال<sup>(٦)</sup>،

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) صحيح البخاري، ١٤٠٧، كتاب فضائل الصحابة.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٩؛ الاستيعاب، ج ١، ص ٢٤٣.

(٤) مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٠.

(٥) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٠١.

(٦) تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٤٠٩.

والطبراني في المعجم الكبير<sup>(١)</sup>، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق<sup>(٢)</sup>، والسيوطي في الخصائص الكبرى<sup>(٣)</sup>، وغيرهم، كما في رواية الطبراني، قال: «حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عباد بن زياد الأسدي، نا عمرو بن ثابت عن الأعمش عن أبي وايل شقيق ابن سلمة عن أم سلمة، قالت: كان الحسن والحسين رضي الله عنهما، يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ودعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ويح كرب وبلاء. قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سلمة، إذا تحوّلت هذه التربة دمًا فاعلمي أن ابني قد قُتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة. ثم جعلت تنظر إليها كل يوم، وتقول: إن يومًا تُحوّلين دمًا ليوم عظيم»<sup>(٤)</sup>.

هذا الحديث يؤكد حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكائه على ولده الحسين عليه السلام، على رغم كونه صلى الله عليه وآله وسلم المبلّغ بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ومنه تعرف أن بكاء الشيعة وحزنهم على الحسين عليه السلام، إنّما هو مما استبان لهم

(١) المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٠٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ١٩٣.

(٣) الخصائص الكبرى، ص ١٢٥.

(٤) المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٠٨.

من الكتاب والسنة، فافهم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا  
 محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّين.



## الولاية هي المناداة العظمى في الإسلام

السائل: طالب علم

السؤال: ... ما هي ماهية الصلاة والصوم والحج؟ وما دليلكم على أن نبوة محمد وولاية علي وآله خير من الثلاث؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصاييح الظلام، وهُدَاة الأنام.

"الولاية" لغة: مصدرٌ بمعنى القيام بأمر شيءٍ والتسلُّط عليه، تقول: ولي الشيءَ ولايةً، أي ملك أمره، وقام به<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح: تقع الولاية مرادفة للإمامة إذا استعملت في التولي لأُمُور المسلمين بعد النبي الأعظم صلوات الله عليه وآله، حيث صرَّحت الأخبار بإمامتهم عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

(١) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ١٠٥٧.

(٢) يُنظر: موسوعة الفقه الإسلامي، ج ١٧، ص ١٥.

ومصطلح الولاية واردٌ في القرآن الكريم، وواردٌ في السنة أيضاً، لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فهذه الولاية تشريعية، بمعنى أنها توجب على المؤمنين أن يتبعوا النبي فيما يأمرهم، وينهاهم، لكونه أولى بهم من أنفسهم، وعليهم إطاعته.

أمّا في السنّة الشريفة، فلقوله عليه السلام: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، وهذا الحديث صحيح متواتر، بل في أعلى درجات التواتر، قطعيّ الصدور، واضح الدلالة على إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وعندما نقرأ حديث الثقلين الصحيح الثابت المتواتر المتسالم عليه بين المسلمين شيعةً وسنةً، المروي عن بضع وعشرين صحابياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «إني تارك أو مخلف فيكم الثقلين، أو: الخليفتين. ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٢)</sup>. نجد أن أبرز دلالات هذا الحديث المبارك هي وجوب التمسك بالقرآن الكريم والعترّة الطاهرة، والمراد بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام هو وجوب تلقي الإسلام والقرآن منهم، وإطاعتهم والاقتداء إلى الله تعالى بهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل التمسك بهما عاصماً من الضلالة، ومن كان التمسك به عاصماً من الضلالة فالتمسك

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) الصواعق المحرقة، لابن حجر المكي، ص ١٣٦.

به واجب.. هذا ما فهمه علماء السُّنة قبل الشيعة. فقد قال التفتازاني: «أ لا يرى أنه عليه السلام قرنهم بكتاب الله في كون التمسك بهما منقذاً من الضلالة، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه من العلم والهداية، فكذا العترة»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث المعروف عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قوله: «بُني الإسلام على خمسٍ: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية»<sup>(٢)</sup>، نجد أن الإمام عليه السلام حين تحدّث عن الأركان الأساسية في الإسلام، ذكر "الولاية" على أنه خامس ركنٍ بين الأركان الخمسة وأبرزها، في حين أن الصلاة التي توضّح العلاقة بين الخالق والخلق، والصيام الذي هو رمز محاربة الشهوات، والزكاة التي تحدّد العلاقة بين الخلق والخالق، والحجّ الذي يكشف الجانب الاجتماعي في الإسلام، اعتبرت الأركان الأربعة الأساسية الأخرى. ثم أكّد الإمام الباقر عليه السلام بعد ذكر الأركان قائلاً: "ولم ينادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية"؛ هذا لأنّ "الولاية" تضمن تطبيق سائر العبادات - من صلاة وصوم وحج وزكاة - بنحوٍ عملي، فالولاية هي الضمانة لتطبيق الأركان الإسلامية الرئيسة.

وفي الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم،

(١) شرح المقاصد، للتفتازاني، ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٨.

والولاية. قال زرارة: فقلت: وأيُّ شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ. قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة، قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة؛ لأنه قرنهما بها، وبدأ بالصلاة قبلها، قلت: فالذي يليها في الفضل؟ قال: الحج. قلت ماذا يتبعه؟ قال الصوم...»<sup>(١)</sup>.

وفي الخصال عن أبي حمزة الثمالي، أنه قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: بُني الإسلام على خمسٍ: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان، والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربعٍ منها رخصةً، ولم يجعل في الولاية رخصةً، من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة، ومن لم يكن له مالٌ فليس عليه حجٌّ، ومن كان مريضاً صلى قاعداً، وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة»<sup>(٢)</sup>.

والسبب في أنه لم ينادَ بشيء كما نُودي بالولاية، وأنها أفضل من الأركان الأربعة ومفتاحها، هو أن تنفيذ الأركان الأخرى لن يتحقّق إلا في ظلّ هذا الأصل، أي في ظل الولاية. ولهذا السبب بالذات رُوي عن الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله قوله: «من مات بغير إمام مات ميتة الجاهلية»<sup>(٣)</sup>. إذ بفضل "الولاية" تُقام العبادات

(١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٧، ط. الإسلامية.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٤.

(٣) تفسير الأمل، ج ٩، ص ٧٠.

من صلاة، وصوم، وحج، وزكاة، وفي ظلها يصبح مضمون هذه العبادات عملياً؛ أي أنه بدون الولاية وحاكمية الإسلام، ستبقى هذه الأوامر مجرد حبرٍ على ورق، مثل الوصفة الطبية التي لا تنفع المريض ما لم يعمل بها.

لذلك فإن الولاية بمعنى تطبيق قوانين الإسلام إنما تكون بواسطة الأئمة المعصومين عليهم السلام ونوابهم؛ ومن هنا فإن الولاية التي تحظى بمكانة أسمى من الصلاة والصوم والحج والزكاة هي الولاية التي تكون نتيجتها الحكومة الإسلامية؛ وهي التي نشأت من ولاية الإمام علي عليه السلام في غدير خم.

وبهذا البيان يمكن أن نفهم أنه: لماذا كانت الولاية أهم من كل ما سواها من العناصر؛ لأن الولاية بحسب تعبير الإمام عليه السلام هي ضمانَةٌ تطبق سائر الأركان الإسلامية الرئيسة. فإذا لم تشكل الحكومة الإسلامية لن يمكن إقامة الصلاة والخمس والزكاة والصوم والحج على نطاق عام، ولن تتحقق فلسفة هذه العبادات. وعليه فليست الولاية مجرد حُب ورغبة وتوَسُّل، بل معناها القبول بمناهج الحكومة الإسلامية التي يقدمها الأئمة المعصومون أو الأنبياء الإلهيون عليهم السلام؛ لذلك نرى أنه طوال التاريخ كلما توفرت لنبيٍّ من الأنبياء الفرصة فإنه يقيم الحكومة. من قبيل أنبياء الله داود، وسليمان، وموسى عليهم السلام، وكذلك رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم. وأما بعض الأنبياء العظام من قبيل إبراهيم وعيسى عليهما السلام فإنما لم

يقوما بهذا الأمر لعدم توفر الفرصة أو الإمكانات الضرورية بين أيديهم<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الولاية، وفضلها على سائر العبادات، مبيناً أن جميع الأركان تعتمد عليها، وذلك في سياق وصفه للإمامة بالمعنى الشرعي، حيث قال عليه السلام: «إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء. إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام. إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين. إن الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف. الإمام يُحِلُّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا، تعدّ الإمامة رئاسةً عامةً إلهية، وخلافة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في شؤون الدين والدنيا، وتمثل السلطة المطلقة التي كانت للنبي صلوات الله وسلامه عليه بدون استثناء.

هذا، ولم ينفرد الشيعة الإمامية بتفضيل "الولاية" على سائر

(١) ناصر مكارم.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٢٠٠.

العبادات، بل شاركهم في هذا الاعتقاد أهل السنة أيضاً. فقد صرّح ابن تيمية بأن ولاية أمر الناس هي أصل الدين وأعظم واجباته، وأن قيام الدين والدنيا متوقّف عليها، حيث قال: «يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها».

في المجمل، النصوص توضّح أن الولاية هي الضمانة لتطبيق الأركان الإسلامية الرئيسة، وأنها أساس قيام الدين والدنيا. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتتجّين.



## الشورى في اختيار الخليفة حقيقة أم وهم؟

السائل: يتحفظ على اسمه.

السؤال: كتب أحدهم.. تصفحتُ في القرآن فلم أجد به من آية تنصُّ على خلافة عليٍّ، ولكنني وجدتُ آيةً تذكر ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ فالسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان الشيعة يؤمنون بقيمة الشورى في الحياة اليومية، سيما الاجتماعية، فلماذا رفضهم هاهنا لها في أمر السقيفة؟ أليس أن أبا بكرٍ جمعَ القوم للاستشارة حتى يجدوا من هو أهل لتولي أمور المسلمين بعد النبي، والقوم قد اختاروه؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهداة الأنام.

ضعُ في اعتبارك قبل كل شيء أنه لم يُنقل عن النبي ﷺ ما يشير إلى أنه أُوكل أمر اختيار خليفته إلى الشورى، بل الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة تثبت عدم إيكال هذا الأمر إلى أحدٍ من الأمة مطلقاً. ومن شواهد ذلك ما روثه كتب السيرة، حيث

عرض بنو عامر بن صعصعة، من كبار قبائل نجد آنذاك، على رسول الله ﷺ أن يقدموا له الحماية مقابل أن يكون لهم الأمر من بعده، فأجابهم: "إن الأمر لله يضعه حيث يشاء" (١).

وعليه، فإن عدم ورود شيء عن النبي ﷺ في هذا الموضوع هو أمر محسوم ومتفق عليه، ولا خلاف فيه.

واعلم أن مبدأ الشورى ظهر أول مرة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث سنّه قبل وفاته، ولم يكن له ذكرٌ أو تطبيق بين الصحابة قبل ذلك، وقد أكّد ذلك بالاتفاق أصحابُ التاريخ ورواة الحديث، فقد قال القرطبي في تفسيره: «وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافة - وهي أعظم النوازل - شورى» (٢).

وأكد ذلك -أيضاً- جملةٌ من علماء أهل السنة مثل ابن كثير في تفسيره، والآجُرِّي في الشريعة، وابن بطة في الإبانة، بأنه: «لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ الْوَفَاةُ حِينَ طُعِنَ جَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ شُورَى» (٣).

إذاً، لم يُذكر مبدأ الشورى قبل خلافة عمر بن الخطاب، مما يشير إلى أن خلافة أبي بكر لم تستند إلى هذا المبدأ أبداً، وقد

(١) سيرة ابن هشام ج ٢، ص ٢٨٩، تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٢٥١، ط. دار الكتب المصرية.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٧، ص ٢١١، ت. السلامة؛ الشريعة، للآجري، ج ٤، ص ١٧٤٦، ت. الدميحي؛ الإبانة الكبرى، لابن بطة، ج ٨، ص ٤٤، ط. در الراية، الرياض.

أكد عمر بن الخطاب هذا في خطبته الشهيرة التي تحدث فيها عن بيعة أبي بكر، كما جاء في صحيح البخاري، عن ابن عباس، أن عمر بن الخطاب قال: «لا يَغْتَرَّنْ أمرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة، وتَمَّتْ، ألا إنها قد كانت كذلك، ولكن وقى الله شرَّها! فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه، تغرّة أن يُقتل»<sup>(١)</sup>.

والسؤال الذي يثار هنا هو: ما الذي دفع عمر بن الخطاب إلى اعتماد مبدأ الشورى في تعيين الخليفة من بعده، على رغم أن هذا المبدأ لم يُعتمد في تعيين الخليفة الأول ولا في تعيينه هو نفسه خليفةً ثانياً؟

جواب هذا السؤال في رواية البخاري نفسها، عن ابن عباس، أنه قال: «كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين، منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها، إذ رجع إلي عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان؟ يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة، فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين

(١) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٥٠٥، باب: رجم الحبل في الزنا إذا أحصنت.

لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعايا الناس وغوغاءهم»<sup>(١)</sup>.

ولعلك تسأل: من المقصود بـ "فلان" القائل: "لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً"؟ ومن المقصود بـ "فلان" الآخر الذي يُبايع له بعد موت عمر؟

الجواب: المقصود بـ "فلان" القائل: "لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً" هو الزبير بن العوام، والمقصود بـ "فلان" الآخر الذي يُبايع له بعد موت عمر هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا ما أكده القسطلاني في الإرشاد، وأقر بصحته، حيث قال: «قال في مسند البزار والجعديات بإسنادٍ ضعيف: إن المراد بالذي يبايع له طلحة بن عبيد الله، ولم يسم القائل ولا الناقل. قال: ثم وجدته في الأنساب للبلاذري بإسنادٍ قوي من رواية هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري بالإسناد المذكور في الأصل، ولفظه: قال عمر: بلغني أن الزبير قال: لو قد مات عمر لبايعنا علياً. الحديث. وهذا أصح»<sup>(٢)</sup>.

إذًا، فإن مبدأ الشورى واعتماده في اختيار الخليفة يبدو مبدأً وهمياً؛ حيث أن تعيين أول الخلفاء لم يتم على وفق هذا المبدأ، بل كان بما يمكن وصفه بأنه "فلتة"، كما وصفه عمر، الذي كان هو نفسه من بين الذين بدأوا بهذه العملية، وقادوا الناس إليها،

(١) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٥٠٣.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ج ١٠، ص ١٩.

ومن ثم، عُيِّن خليفةً ثانيًا، وأيضًا بمعزل عن مبدأ الشورى، فالخليفة الأول والثاني انتُخبا بغير مبدأ الشورى، وهذا ما أكدّه الإمام الشافعي في "الرسالة"، حيث قال: «فاستخلفوا أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، ثم استخلف عمرُ أهلَ الشورى ليختاروا واحدًا، فاختر عبدُ الرحمن عثمان بن عفان»<sup>(١)</sup>.

وقد زعم بعض علماء أهل السنة أن أبا بكر وعمر احتجّا يوم السقيفة على الأنصار بحديث رسول الله ﷺ الذي ينصّ على كون الخلافة في قريش، قال النووي في شرح صحيح مسلم: «قال القاضي: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة، فلم ينكره أحد. قال القاضي: وقد عدّها العلماء في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن أحدٍ من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك مَنْ بعدهم في جميع الأعصار»<sup>(٢)</sup>.

فهذا ونحوه، يدلّك بوضوح على أن أبا بكر لم يُتّخب خليفة للمسلمين على وفق مبدأ الشورى، وكذلك الأمر في خلافة عمر، وأن مبدأ الشورى إنما ظهر في خلافة عمر، وهو مَنْ سنّه، واعتمده أصلاً في اختيار الخليفة؛ وذلك لمنع عليّ عليه السلام من الوصول إلى الخلافة بعد موته.

(١) الرسالة، للشافعي، ص ٤١٩-٤٢٠، ت. أحمد محمد شاكر.

(٢) شرح النووي على مسلم، ج ١٢، ص ٢٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

بيد أنه خالف هذا المبدأ حينما اقترب أجله، وشارف على الهلاك، فأصبح يبحث عمن يرتضيه، فيعهد إليه بالخلافة بمعزل عن مبدأ الشورى، قال الزمخشري في "الكشاف": إن عمر بن الخطاب «قال - حين قيل له: ألا تستخلف؟ -: لو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته، ولو كان معاذ حيًّا لاستخلفته. ولو كان سالم حيًّا لاستخلفته»<sup>(١)</sup>.

هذا، بالإضافة إلى شروط الشورى التي وضعها عمر، والتي قد تثير الدهشة أو النفور عند سماعها:

منها: أنّها شورى بين ستة أشخاص، يختارهم الخليفة دون مشاركة الأمة.

ومنها: يجب أن يكون الخليفة المنتخب من بين هؤلاء الستة فقط.

ومنها: إذا اتفق أغلبية الستة على شخص، واعترض الباقون، ضربت أعناق المعارضين.

ومنها: إذا اتفق اثنان على شخص، واثنان على آخر، تُرجح الكفة التي فيها عبد الرحمن بن عوف، وإذا لم يقبل الباقون، تضرب أعناقهم.

---

(١) تفسير الزمخشري - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل -، ج ٢، ص ٦٤٢، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

ومنها: أنه يجب أن لا تزيد مدة التشاور على ثلاثة أيام، وإلا ضربت أعناق الستة جميعهم<sup>(١)</sup>.

وعلاوة على ذلك، تتعدد طرق انتخاب الخليفة، وتباين بنحو كبير، دون أن تستند إلى أصل محدد من الكتاب والسنة النبوية، فتارةً يُنتخب الخليفة بعقد رجل واحد ومتابعة أربعة، وتارةً بنص من الخليفة السابق، وتارةً باجتماع ستة لاختيار أحدهم، وتارةً بالقهر والاستيلاء، حتى انتهى الأمر بأن أصبحت الخلافة وراثية بحتة، لا تمت للدين بصلة<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) يُنظر: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٦-٦٧.

(٢) وللاستزادة راجع كتاب "خلافة الرسول بين الشورى والنص، مركز الرسالة".

## هل يُسأل كل ميت في قبره؟

السائل: محمد أبو جبرائيل

السؤال: لديّ سؤال بخصوص سؤال الميت في القبر: لماذا يُسأل الميت في قبره؟ وهل السؤال يقتصر على غير المؤمن أو يشملهُ أيضًا؟ وشكرًا.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

السؤال بـ "لماذا يُسأل الميت في قبره"، غير صحيح؛ لأنّه سؤال عن شأنٍ من شؤون الله عزّ وجلّ، وهو سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أما هل يقتصر سؤال الميت في القبر على غير المؤمن أو يشمل المؤمن أيضًا؟ فجوابه:

أكَّدتُ جملةً من روايات أئمة الهدى عليهم السلام على أن الأسئلة

الموجَّهة في القبر لا تعمُّ كل الموتى، بل خصوص طائفتين منهم، وهما:

الأولى: هم المتمحِّضون في الإيمان.

الثانية: هم المتمحِّضون في الكفر.

أما غير هاتين الطائفتين فيبقون في قبورهم دون مساءلة حتى يوم النفخ في الصور.

قال الشيخ الصدوق رحمته الله في "الاعتقادات": «اعتقدنا في المسألة في القبر أنها حقٌّ لا بد منها، فمن أجاب بالصواب فاز بروحٍ ورِيحَانٍ في قبره وبجنةٍ نعيمٍ في الآخرة. ومن لم يأت بالصواب فله نُزْلٌ من حميمٍ في قبره، وتصلية جحيمٍ في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

والمستفاد من الأخبار أنَّ السؤال في القبر عامٌّ، وأن النعيم والعذاب فيه خاصان بمن مُحض الإيمان والكفر، قال الشيخ المفيد رحمته الله في "أوائل المقالات": «ظاهر الروايات الواردة في تلقين الميت عمومُ السؤال لكل ميت، ففي رواية الشيخ والكليني والصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام: «ما على أهل الميت منكم أن يدروا عن ميتهم لقاء منكر ونكير...»، والمرتكز في أذهان الشيعة من دون خلافٍ بحيث يعدُّونه من الضروريات التي يجب اعتقادها:

عموم سؤال الملكين في القبر، حتى إن التلقين الذي يلقنونه الميت في القبر يذكرون فيه: وسؤال منكر ونكير في القبر حق، وحمله أيضاً على بعض الأموات خلاف الظاهر. والله العالم»<sup>(١)</sup>.

وأما من يُسأل ومن لا يسأل في القبر، ومن يعذب ومن لا يعذب فيه، فقد أشار الشيخ المفيد رحمته في كتابه "تصحيح الاعتقادات" أن ثمة روايات صحيحة عن النبي صلوات الله عليه وآله تفيد بأن الملائكة تنزل على المقبرين، وتسألهم عن دينهم، وتختلف الألفاظ في هذه الأخبار، فمنها أن ملكين يُقال لهما "ناكر ونكير" ينزلان على الميت، ويسألانه عن ربّه ونبّه ودينه وإمامه، فإذا أجاب بالصواب فُسِّلَمَ إلى ملائكة النعيم، وإن لم يستطع الإجابة سُلِّمَ إلى ملائكة العذاب. وفي بعض الروايات يُقال: إنَّ الملكين اللذين ينزلان على الكافر هما "ناكر ونكير"، واللذين ينزلان على المؤمن هما "مبشر وبشير"؛ وذلك لأنَّ الكافر ينكر الحق، ويكره ما يأتي به الملكان، بينما يبشر الملكان "مبشر وبشير" المؤمنَ بالنعيم وبرضا الله وثوابه.

وذكر رحمته أن الملكين ينزلان فقط على من مُحض الإيمان أو مُحض الكفر. أما من كان بين هذين، فلا يتعرَّضان له بسؤال أو ثواب وعقاب<sup>(٢)</sup>.

(١) أوائل المقالات، ص ٣٢٢.

(٢) يُنظر: تصحيح الاعتقادات، ص ٩٩.

وفي "المسائل السروية" أشار إلى ورود روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تؤكد أن العذاب في القبر لا يشمل جميع الموتى، بل يختص بمن مُحض الكفر، وبالمثل، لا ينعم كل الموتى، بل ينعم من مُحض الإيمان مُحضًا، أما ما سوى هاتين الفئتين، فيُتركون، كما ورد أن السؤال في القبر يختص أيضًا بهاتين الفئتين فقط.

وبالنسبة لكيفية العذاب والنعيم، أشار عليه السلام إلى ورود الآثار التي تفيد بأن الله سبحانه يجعل روح المؤمن في قالبٍ مُشابهٍ لجسده في الدنيا في جنة من جنّاته، حيث ينعم حتى يوم القيامة. وعند النفخ في الصور، يُعاد جسده الذي بقي، وتمزق إلى حالته الأصلية، ثم يحشر إلى الجنة ليبقى منعماً دائماً. وجسد المؤمن المعاد لا يبقى على تركيبه في الدنيا، بل يُعدّل طباعه، ويُحسن صورته، فلا يهرم، ولا يمسّه نصبٌ في الجنة ولا لغوب.

أما الكافر فيُجعل في قالبٍ كقالبه في الدنيا، في محلّ عذاب، يُعاقب به، ونار يُعذّب بها حتى قيام الساعة، ثم يُنشأ جسده الذي فارقه في القبر، ويعاد إليه، ثم يُعذّب به في الآخرة عذاب الأبد. ويركّب أيضًا جسده تركيبًا يتحمّل العذاب الأبديّ دون أن يفنى <sup>(١)</sup>.

وبالمجمل، سؤال الميت في القبر لا يقتصر على غير المؤمن، وإنما يشمل المؤمن أيضًا، والله العالم.

(١) يُنظر: المسائل السروية، للشيخ المفيد، ص ٦٢.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلم على سيدنا ونبيّنا  
محمد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



## دلائل انفصال آية التطهير عن خطاب نساء النبي

السائل: محمد رضا

السؤال: توجد شبهة تُطرح بكثرة في الوقت الحالي من قِبَل المخالفين، وهي أنه بعد آية التطهير مباشرة تأتي كلمة ﴿وَإِذْ كَرُنُ﴾ ويقولون: إن الواو هنا واو عطف، وهذا يدلُّ على أنَّ آية التطهير مخاطبة بها نساء النبي، أو أنها نزلت في نساء النبي بسبب العطف.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهرين..

آية التطهير آيةٌ مستقلة، ولا محذور من اندراجها ضمن الآيات المرتبطة بنساء النبي ﷺ، ومثله غير عزيز في القرآن الكريم، فإن من سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمامه كلامٌ لا يكون مفيداً إلا به، واصطلحوا على هذا الكلام المعترض، فأسموه بـ (الجملة الاعتراضية)، والغاية المتوخاة من هذه الجملة أنها تفيد تأكيداً وتسديداً للكلام الذي اعترضت بين أجزائه.

وقول المشتبه: «أن بعد آية التطهير مباشرة تأتي كلمة

﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾؛ لذا فإن الواو هنا واو عطف!!

يجاب عنه بالآتي: فقد نصَّ النحاة على أنه لا يلزم توالي المتعاطفين، وأنه قد يفصل أحياناً بينهما، والذي يعين، ويحدد المعطوف والمعطوف عليه هو سياق الكلام، ومن أمثلة الفصل بين المتعاطفين: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾<sup>(١)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، ف(أَجَلٌ) في الآية الأولى معطوف على (كَلِمَةٌ)، و(الْمَسِيحَ) في الآية الثانية معطوف على (أَحْبَارَهُمْ)، و(فِسْقًا) في الآية الثالثة معطوف على (مَيْتَةً).

فقد فُصل بين المعطوف والمعطوف عليه في هذه الآيات الثلاثة، كما هو واضح، والذي حدّد، وعيّن المعطوف والمعطوف عليه في هذه الآيات الثلاثة هو سياق الكلام. ولو كان لا بد من مجيء المعطوف بعد المعطوف عليه مباشرة لواجهنا محذوراً في

(١) طه: ١٢٩.

(٢) التوبة: ٣١.

(٣) الأنعام: ١٤٥.

فهم قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(١)</sup>، إذ إن معنى العطف هنا براءة الله من الرسول ﷺ؛ لأنه يكون معطوفاً على المشركين الذين تبرأ الله منهم، وهذا محال؛ لأنه يقتضي الكفر.

وهذا النوع من الجُمْل ذو حضورٍ وافرٍ وواضح في آيات القرآن الكريم، وقد نبّه على هذا الأسلوب كثيرٌ من المفسّرين، وبالأخصّ الذين لهم عنايةٌ بالجانب اللغويّ والبلاغي كالزمخشري، حيث أشار إلى هذا الأسلوب في عدّة آياتٍ من القرآن الكريم، منها، قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الزمخشري: «وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ الآية، جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه، مؤكّدة لمعنى خطئهم، وما أحسن نظمَ هذا الكلام عند المتراض بعلم محاسن النظم»<sup>(٣)</sup>.

وممّن أشار إلى هذا الأسلوب من المفسّرين: أبو حيان أثير الدين الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط): قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مَثَلٌ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

(١) التوبة: ٣.

(٢) القصص: ٨.

(٣) تفسير الكشاف، للزمخشري، ج ٣، ص ٣٩٥.

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»<sup>(١)</sup>، قال أبو حيان: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ ويكون قوله: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ جملةً اعتراضيةً بين ما قبلها وما بعدها<sup>(٢)</sup>.

وهكذا غيرهما من المفسرين تعرّضوا لذكر هذا الأسلوب (الجملة الاعتراضية) وأعرضت عن ذكرهم خشية الإطالة، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى تفاسير أهل السنة.

إذن، المفسرون كثيراً ما يعولون على هذا الأسلوب، وقد اعتمدوا عليه في تفسير كثير من آيات القرآن الكريم، فابن عاشور تحدّث عنه في مقدّمة تفسيره، ويّسن فائدته، فقال: «تكثر في القرآن الجمل المعارضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك؛ فإن كلّ جملة تشتمل على حكمة وإرشاد، أو تقويم معوج»<sup>(٣)</sup>.

وعلى ضوء ما تقدّم: يتّضح أنّ آية التطهير إنما زُجّت بين الآيات المختصّة بنساء النبي ﷺ بنحو الجملة الاعتراضية من باب التأكيد على مقام أهل بيت العصمة عليهم السلام، لانتساب النساء المعنّيات إلى هذا البيت الطاهر.

علاوة على ذلك، فقد صرّحت عدّة روايات بهذه العبارة: (نزلت الآية..) فلو كانت جزءاً آية كما هو المدّعى لمّا جاءت

(١) آل عمران: ٧٣.

(٢) تفسير البحر المحيط، ج ٣، ص ٢١٤.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج ١، ص ٨١.

الأخبار والآثار مؤكدة أنها آية، منها:

١- عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ  
«هَذِهِ الْآيَةُ» عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ  
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ...»، وَصَرَّحَ  
الْأَلْبَانِيُّ بِصَحَّتِهِ<sup>(١)</sup>.

٢- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «فِي بَيْتِي  
نَزَلَتْ «هَذِهِ الْآيَةُ» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ﴾...»<sup>(٢)</sup>.

٣- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا، قَالَتْ: «... فَاجْتَمَعُوا عَلَى  
تِلْكَ الْبُرْمَةِ، يَأْكُلُونَ مِنْهَا، «فَنَزَلَتْ الْآيَةُ» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾...»<sup>(٣)</sup>.

٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ» فِي خَمْسَةِ، فِيَّ وَفِي عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ  
وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وغيرها كثير من الروايات التي جاءت بطرق متعددة صرحت  
بالنص (أنها آية) كما هو واضح.

(١) صحيح وضعيف سنن الترمذي، للألباني، ج ٧، ص ٢٠٥.

(٢) مستدرک الحاكم، ج ٢، ص ٤٥١، ح ٣٥٥٨.

(٣) الشريعة، للأجري، ج ٥، ص ٢٢٠٩، ح ١٦٩٧.

(٤) المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٣٠٨.

ثم إنك إذا تتبعت أسلوب الخطاب في الآية الكريمة ستجد أنه ما قبل آية التطهير جاء بصيغة التأنيث: (لَسْتُنَّ - اتَّقِيْتُنَّ - فَلَا تَخْضَعْنَ - وَقُلْنَ) وفي الآية الثانية كذلك: (قَرْنَ - يُوتِكُنَّ - تَبَرَّجْنَ - أَقْمَنَ - آتَيْنَ - أَطْعَنَ)، ثم يتبدل أسلوب الخطاب إلى صيغة التذكير: (عَنْكُمُ - يُطَهِّرُكُمْ)، ثم يعود الخطاب بعد ذلك إلى ما كان عليه من صيغة التأنيث: (اذْكُرْنَ - يُوتِكُنَّ)، باختلاف الضمير في الجمل المعطوفة التي تجيء في سياق واحد غير جائز مثل الكلام عن النساء ثم الانتقال إلى الكلام عن الذكور - كما هو موضوع الآية - إلا بوجود قرينة على ذلك، والآية خالية عن قرينة تشير إلى ذلك الانتقال، وكذلك الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، وهو ما يسمى بالالتفات.

فلو كان المراد بآية التطهير نساء النبي ﷺ، لما عدل من صيغة التأنيث إلى التذكير، ثم عاد بعدها إلى صيغة التأنيث، فأنعم النظر في قوله سبحانه: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمِنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾<sup>(١)</sup>.

ولنفرض أنّنا حذفنا آية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فلو ضمّمنا ما قبلها إلى ما بعدها، لوجدنا أنّ المعنى والنظم لم يختلا، وهذا يدلّ على أنّ آية التطهير آيةٌ مستقلةٌ وردت في سياق الآيات لمصلحةٍ عظيمة.

ألا يمكن أن يكون كلّ هذا دليلاً على أنّ المراد من آية التطهير ليس نساء النبي ﷺ؟! ألا يكفي في الدليل على ذلك ما في صحيح مسلم في ذيل حديث الثقلين عن زيد بن أرقم، أنه سئل: هل نساؤه من أهل بيته؟ قال: «لا، وإيم الله! إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها»<sup>(١)</sup>.

وغير هذا وذاك، فإنه لم ينقل عن واحدةٍ من نساء النبي ﷺ أنها ادعت شمولها بآية التطهير أو أن إحداهن معنيّة بها، ولو كان لبان، ولكن ورد عكس ذلك تماماً، فقد روى البخاريّ في صحيحه أنّ عائشة قالت: «ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلّا أنّ الله أنزل عذري»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّبين.

(١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٤، ت. عبد الباقي.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٨٢٧، ت. البغا.

## حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ

السائل: أيامًا معدودات

السؤال: لديَّ سؤالٌ حول الرسول ﷺ هو: من هي مرضعته؟ وإذا كانت حليمة السعدية فهل صحيح ما قيل عنها: إنها كانت امرأة جاهلية؟ وهل النبيُّ يحتاج لمرضعةٍ دون أمِّه؟ إن أمكنكم الإجابة عقليًّا ونقليًّا بما هو كافٍ ووافٍ. جزاكم الله خيرَ الجزاء، وأشكر حضرتكم، وأرجو المعذرة منكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

إنَّ كون السيدة حليمة السعدية مرضعةَ الرسول ﷺ من المسلَّمات التاريخية، وقد صرَّحت بذلك مصادِرُ المسلمين - سُنَّةٌ وشيعةٌ - الحديثيَّة والتاريخيَّة والكلامية.

فقد جاء في "التنبيه والإشراف": «ودُفع عليه الصلاة والسلام إلى حليمة بنت أبي ذؤيب، وهو عبدُ الله بن الحارث بن شجعة

بن جابر بن رزام بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر ابن هوازن لترضعه، فأرضعته بلبن بنيتها عبد الله والشيما وأنيسة بني الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر... وكان مقامه صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيهم أربع سنين، فلما كان في السنة الخامسة ردَّته حليلة إلى أمِّه آمنة، فلما كان في السنة السابعة من مولده أخرجته أمُّه إلى أخوال جدِّه عبد المطلب بن هاشم من بني عدي بن النجار بالمدينة، يزورهم»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، في "كنز الفوائد": «... وشرف الله تعالى حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه، وخصَّها بتربيته، وكانت ذات عقل وفضل، فروت من آياته ما يبهر عقول السامعين، وأغناها الله ببركته في الدنيا والدين، وكان لا يرضع إلا من ثديها اليمين...»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، في "إعلام الوری": «... في ذكر قرباته من جهة أمِّه من الرضاعة صلوات الله عليه وآله. لم يكن لرسول الله ﷺ قرابة من جهة أمِّه إلا من الرضاعة، فإن أمِّه آمنة بنت وهب لم يكن لها أخ ولا أخت، فيكون خالاً له أو خالة... وكان له خالة من الرضاعة يقال لها: سلمى، وهي أخت

(١) التنبيه والأشرف، للمسعودي، ص ١٩٦ - ص ١٩٧.

(٢) كنز الفوائد، لأبي الفتح الكراجكي، ج ١، ص ١٦٧.

حليمة بنت أبي ذؤيب. وله أخوات من الرضاعة»<sup>(١)</sup>.

وجاء في "الخراج والخراج": «أنه لما وُلد النبي ﷺ قَدِمَتْ حليمة بنت أبي ذؤيب في نسوةٍ من بني سعد بن بكر تلتمس الرُّضْعَاءَ بمكة، قالت: فخرجتُ معهنَّ على أتانٍ، ومعِي زوجي... لم تبقَ مِنَّا امرأةٌ إلا عُرِضَ عليها محمد ﷺ... وأقبل ثدياي باللبن حتى أرويته»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ البحراني (ت ٦٠٥هـ)، في المختصر: «وأرضعته امرأةٌ من بني سعدٍ، وهي: حليمة السعدية، فلما شبَّ عليه السَّلام، وسعى رَدُّه حليمة إلى أمِّه...»<sup>(٣)</sup>.

وعن المشغري العاملي (ت ٦٦٤هـ)، في "الدرُّ النظيم"، قال: «... أرضعته حليمة السعدية، فلبثت فيهم خمس سنين، وكانت أرضعت قبله حمزة، وبعده أبا سلمة المخزومي...»<sup>(٤)</sup>.

وجاء في "العُدَد القويَّة"، للمطهر الحلي، أنه قال: «... أرضعته حليمة السعدية، فلبث فيهم خمس سنين، وكانت أرضعت قبله حمزة، وبعده أبا سلمة المخزومي»<sup>(٥)</sup>.

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى، للشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٢٨٥.

(٢) الخراج والخراج، قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ٨١.

(٣) مختصر في تعريف أحوال سادة الأنام - النبي والاثني عشر إمام -، للبحراني، ص ٢٨.

(٤) الدر النظيم، للمشغري العاملي، ص ٥٩.

(٥) العُدَد القويَّة لدفع المخاوف اليومية، للحلي، ص ١٢٢.

وجاء في "سفينة البحار": «أنّ حلّمة بنت أبي ذؤيب جاءت إلى مكّة لتتمس الرضيع، فمنّ الله عليها بمحمّد ﷺ، فأخذته، فحصل لها من البركة ما لا يُحصى...»<sup>(١)</sup>.

ونحوهم غيرهم، مما لا يسع هذا المختصر ذكرَ نصوصهم.

وأما السؤال عن صحة ما قيل: بأن السيدة حلّمة السعدية كانت امرأة جاهلية!!

فجوابه: أن الجاهلية هي حال العرب قبل الإسلام، وكانت تسم بالضلالة والجهالة والوثنية والعصية القبلية، إلا أنّ هناك فئة لا يستهان بها من الحنفاء الذين كانوا على ملّة إبراهيم عليه السلام، وكانوا يعتزلون عبادة الأصنام؛ لذلك لا يمكن القول بأن السيدة حلّمة كانت امرأة جاهلية؛ إذ لا يوجد دليلٌ يثبت ذلك، بل يمكن القول: إنها كانت على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، ويؤيد ذلك اختيارُ عبد المطلب لها لإرضاع حفيده النبي ﷺ، إذ لا يُعقل أن يرسل وراء امرأة مشركة من ثقيف، في حين كان هو رأس المتديّنين الإبراهيميّين آنذاك، هذا، ناهيك عن صلة نسبها بإبراهيم الخليل عليه السلام، فقد أشار الكجوري في "الخصائص" إلى صلة نسب حلّمة السعدية بإبراهيم الخليل عليه السلام، في سياق بيان ما أصاب عبد المطلب من همٍّ وغمٍّ لمّا لم يجدْ مرضعةً للنبي ﷺ، قال: «فخرج عبد المطلب مهمومًا، وقعد عند ستار الكعبة، ورأسه بين

(١) سفينة البحار، الشيخ عباس القمي، ج ٢، ص ٣٢٥.

ركبتيه، كأنه امرأةٌ ثكلى، وإذا بعقيل بن أبي وقاص، وقد أقبل، وهو شيخٌ قريش وأسنُّهم، فلمَّا رأى عبد المطلب مغمومًا.. قال: يا أبا الحارث، إني لأعرف في أربعةٍ وأربعين صنيديًا من صناديد العرب امرأةٌ عاقلة، هي أفصح لسانًا، وأجملُ وجهًا، وأشرفُ حسبًا ونسبًا، وهي حليلة بنت أبي ذؤيب، يتنسبُ نسبها إلى إبراهيم الخليل...»<sup>(١)</sup>.

إذا، ما قيل عن أنَّ السيدة حليلة السعدية كانت امرأةً جاهلية، قولٌ غير صحيح؛ إذ لا دليلٌ يثبت أنها كانت تعبد الأوثان، ولو كان كذلك لظهر، وبان.

### فَتَحَصَّلَ مِنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ:

أن حليلة السعدية مرضعةُ الرسول ﷺ، وهو أمرٌ متفقٌ عليه بين المسلمين سُنَّةٌ وشيعة، صرَّحت بذلك مصادرهم، منها: "التنبيه والأشراف" للمسعودي، و"الخرائج والجرائح" للراوندي، و"إعلام الوري" للطبرسي، و"كنز الفوائد" للكرجكي، و"سفينة البحار" للقمي، و"مختصرٌ في تعريف أحوال سادة الأنام" للبحراني، و"العدد القوية" للحلي، و"الدرّ النظيم" للمشغري، وغيرها.

ولا يوجد دليلٌ على أنَّ حليلة السعدية كانت امرأةً جاهليةً، وتعبد الأوثان، بل تشير بعض الروايات إلى أنها كانت على دين

(١) الخصائص الفاطمية، ج ٢، للكجوري، ص ١١٣.

إبراهيم عليه السلام، ويدعم ذلك اختيارُ عبد المطلب لها لإرضاع حفيده  
النبي صلى الله عليه وآله، ناهيك عن صلة نسبها بإبراهيم الخليل عليه السلام كما ذكرها  
الكجوري في "الخصائص".

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا  
محَمَّدٍ وآله الطيّين الطاهرين المعصومين المتّجّين.



## صيغة الجمع في الخطاب الإلهي للتعظيم لا للتعدد

السائل: علي عدنان

السؤال: هل هنالك ردٌّ بخصوص مَنْ يقول: كُلُّ جَمْعٍ في القرآن هو محمدٌ وآل محمد، مثل خالقين ورازقين؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهَّرين مصاييح الظلام، وهداة الأنام.

إن من أعظم مظالم أئمة أهل البيت عليهم السلام الغلو في حقِّهم، كأن يُنسب إليهم الخلق والرزق والإحياء والإماتة، ونحو ذلك، مما يُقرَّبهم من مرتبة الألوهية، وبلغ الأمر مبلغاً إلى الحدِّ الذي أعلن أمير المؤمنين عليه السلام البراءة منهم، ودعا عليهم بالخذلان وعدم النصر، فقال: «اللهم إني بريءٌ من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً»<sup>(١)</sup>.

وفي عيون الأخبار عن مولانا أبي الحسن الرضا عليه السلام، أنه

(١) الأمل، الشيخ الطوسي، ص ٦٨٠.

قال: «لعن الله الغلاة... لا تقاعدوهم، ولا تُصادقوهم، وابرؤوا منهم، برئ الله منهم»<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة المجلسي في البحار: «اعلم أن الغلو في النبي والأئمة **عليهم السلام** إنما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في المعبودية أو في الخلق والرزق أو أن الله تعالى حلّ فيهم أو اتحد بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى أو بالقول في الأئمة **عليهم السلام** أنهم كانوا أنبياء أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تُغني عن جميع الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي. والقول بكلّ منها إلحادٌ وكفرٌ وخروج عن الدين كما دلّت عليه الأدلة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها، وقد عرفت أن الأئمة **عليهم السلام** تبرؤوا منهم، وحكموا بكفرهم، وأمروا بقتلهم، وإن قرع سمعك شيءٌ من الأخبار الموهمة لشيءٍ من ذلك فهي إما مؤولة أو هي من مفتريات الغلاة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الزعم (كل جمع في القرآن هو محمدٌ وآل محمد، مثل خالقين ورازقين) مما تمّوج به كتبُ الغلاة، وهو مستلٌّ من رواية وردت في كتاب "صحيفة الأبرار، لمحمد تقي المامقاني"<sup>(٣)</sup>، ولم ترد في أيِّ مصدرٍ من مصادر الشيعة الإمامية الاثني عشرية

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢١٨-٢١٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٤٨.

(٣) صحيفة الأبرار، ج ٥، ص ٢٣٤، ط. دار المحجة، لبنان.

المعتبرة، ولا يُعرف لها أصل ولا سند.

وهذا القول يتناقض مع صريح آيات القرآن الكريم، والأحاديث المتواترة، بأن الخالق هو الله سبحانه وتعالى، ومن تلك الآيات المباركة قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأما الجمع في غير هذه الآيات، مثل آية: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وآية: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾<sup>(٥)</sup>، وما إلى ذلك من الآيات المباركة فقد يُراد به التعظيم والإجلال، لا التعدد،

(١) يونس: ٣١-٣٢.

(٢) فاطر: ٣.

(٣) الروم: ٤٠.

(٤) الواقعة: ٥٧.

(٥) الإسراء: ٧٠.

فضمير الجمع يُستخدم في كثيرٍ من الأحيان في لغة العرب للواحد المعظّم نفسه، وقد درج العربُ على استعماله في خطابهم، قال صاحب المعجم الوسيط: «نحن: ضميرٌ يعبرُ به الاثنان، أو الجمع المُخبرون عن أنفسهم، وقد يعبرُ به الواحدُ عند إرادة التعظيم»<sup>(١)</sup>. والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، فكانت أساليبه في التعبير على نمطِ أساليبهم في الكلام؛ لأنه نزل - كما قال تعالى - : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>. ولا أحدٌ أعظمُ من الله سبحانه، فيكون إطلاقُ لفظ المفرد لإثبات كونه واحدًا لا شريك له، وإطلاق لفظ الجمع لإثبات عظّمته سبحانه. والعلمُ عند الله عزّ وجلّ.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّين.



(١) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٠٧، ط. دار الدعوة.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المحتويات

- المقدمة..... ٥
- حديثُ (لا يؤدِّي عني إلا علي) لا علاقة له بوجوب نشر العلم وتبليغه... ٧
- ثبوت إنكار عليٍّ عليه السلام لصلاة التراويح..... ١١
- تشكيك مضطرب في حديث الكساء..... ١٥
- استغاثة النبي تكشف بُعدًا جديدًا لشجاعة عليٍّ..... ٢١
- حديث «المؤمن يُخاصرُ ربه»..... ٢٨
- هدمُ قبور أئمة أهل البيت نهجٌ ناصبي..... ٣٣
- حدُّ الاعتقاد بالأئمة والغاية من معرفتهم..... ٣٩
- كيف يكون مؤمنًا وهو يدعو إلى النار؟!..... ٤٨
- دحض الاستدلال بظاهر الآية ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ على منع.....
- السؤال عن أحوال الصحابة..... ٥٨
- عيدُ الغدير.. قصة البداية على يد عمر بن الخطاب..... ٦٥
- من يمدح عليًّا، وينتقد الصحابة يُصبح مشكوكًا في صحة انتساب كتابه إليه، وكتاب "الإمامة والسياسة" مثال على ذلك..... ٧٠
- قول "يا محمدُ يا عليٍّ..." في قنوت الصلاة..... ٧٨

- ٨٢..... موقفُ السيّد الخميني رحمته الله من سند الصحيفة السجادية.....
- البكاء على الحسين عليه السلام لا يتنافى مع الصبر وترديد "إنا لله وإنا إليه راجعون"..... ٨٦.....
- الولاية هي المناذرة العظمى في الإسلام..... ٩١.....
- الشورى في اختيار الخليفة حقيقة أم وهم؟..... ٩٨.....
- هل يُسأل كلُّ ميت في قبره؟..... ١٠٥.....
- دلائل انفصال آية التطهير عن خطاب نساء النبي..... ١١٠.....
- حليمة السعدية مرضعة الرسول صلوات الله وسلامه..... ١١٧.....
- صيغة الجمع في الخطاب الإلهي للتعظيم لا للتعدد..... ١٢٣.....

